جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

الميدان : الآداب واللغة العربية
الفرع: الأدب العربي
التخصص: أدب عربي قديم
رقم: .....

إعداد الطالب (ة):

- رزقي بحرية **- رحماني باية**

يوم: تاريخ الإيداع

عنوان المذكرة

الاغتراب في شعر "تأبط شرا"

لجنة المناقشة:

عبد الكريم روينة	دكتور	محمد خيضر بسكرة	مشرفا
توريريت نبيلة	دكتورة	محمد خيضر بسكرة	رئيسا
بوضياف غنية	دكتورة	محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2021 / 2022

مقدمة

يعد الاغتراب من المواضيع الهامة التي جذبت الدارسين فهو ظاهرة مرتبطة بالإنسان ارتباطا مباشرا، وهذا ما يجعلها تنعكس في العديد من الأعمال الأدبية وخاصة الشعر، لأن الشعر يعتبر اللغة التي يعبر بها الشاعر عن إحساسه وعواطفه وما يتورد له من أفكار أكثر من النثر، وهذا ما جعل الشعر أكثر ارتباطاً بظاهرة الاغتراب، وأدق وأشمل في التعبير عنها.

ومن أبرز الأشعار، التي كان فيها الاغتراب واضحا هي أشعار الصعاليك في العصر الجاهلي، نظراً لقساوة الحياة التي عاشوها من نكران والابتعاد عن الأهل والأقارب، وعليه قام هذا البحث بحب الإطلاع وإماطة اللثام عن هذه الظاهرة في أشعارهم، وذلك بدراسة عينة منهم، ألا وهو الشاعر "تأبط شراً"، الذي أعتبر من أبرز الشعراء الصعاليك في ذلك العصر، فكان عنوان بحثنا: الاغتراب في شعر "تأبط شراً، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية:

- كيف تجلى الاغتراب في شعر "تأبط شراً؟

- وما هي أهم المظاهر الفنية التي عبرت عن الاغتراب؟

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن ندرسه في ثلاثة فصول، حيث خصصنا:

الفصل الأول: الاغتراب النفسي في شعر "تأبط شراً" تطرقنا فيه إلى تمهيد بسيط للاغتراب النفسي وبعض أسباب هذا الاغتراب وثم انتقلنا إلى إخراج بعض القصائد التي تمظهر فيها هذا الاغتراب في شعر "تأبط شراً".

أما **الفصل الثاني:** الاغتراب الاجتماعي في شعر "تأبط شراً" وتطرقنا في هذا الفصل إلى تمهيد بسيط لماهيته وبعض من أسبابه ثم قمنا بإخراج بعض القصائد التي مثلت الاغتراب الاجتماعي عند "تأبط شراً".

في حين خصصنا **الفصل الثالث** والأخير لبعض القضايا الفنية في شعره، حيث حاولنا أن نبين كيفية توظيف الشاعر الاغتراب من خلال المعجم الشعري، والصورة الشعرية والموسيقى الشعرية.

واعتمدنا في إنجاز هذا البحث على المنهج التحليلي حيث كان هذا المنهج وسيلة في الدراسة.

وقد اعتمدنا في الدراسة مجموعة من المصادر والمراجع التي تنوعت بين الأدبية والنفسية والاجتماعية لأن الاغتراب موضوع شمل العديد من العلوم ونذكر منها وأهمها: ديوان "تأبط شراً"، وكتاب سيكولوجية الاغتراب لعبد اللطيف محمد خليفة، وكتاب الموقف النفسي عند شعراء المعلقات ليوسف خليفة، والجامع في تاريخ الأدب العربي القديم لحنى الفاخوري.

أما عن صعوبات البحث فترجع أساسا إلى طبيعة ظاهرة الاغتراب المتعددة والمعقدة، وكذلك على تعذر الإطلاع على المتن الشعري للشاعر كله للفترة المحدودة للدراسة.

وختاما نقر ونعترف بالشكر والعرفان والامتنان الكبير لأستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور "عبد الكريم روينة" على تفضله بالإشراف، ونقدر لأساتذتنا الكرام على تحملهم عناء القراءة والتقويم والتوجيه وكما نتمنى أن نكون قد وفقنا في هذه الدراسة.

مدخل

ماهية الاغتراب:

يُعد الاغتراب واحداً من الظواهر البارزة في المجتمع العربي القديم، واختلفت طريقة معالجتها باختلاف الفرد وحسب ظروفه التي يعيشها لتجعل بعضهم يتخبط بين التعصب والتمرد وفي بعض الأحيان الاستسلام والانعزال والانغلاق على نفسه.

لغة: أشار "الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد" في كتابه الصحاح عن الاغتراب بأنه "الغربة".« غرب: الغُربة: الاغتراب، تقول منه تَغَرَّبّ، واغترب، بمعنى فهو غريب. والجمع: الغُرباء»[1].

كذلك (ابن منظور) قد أشار إليه في "لسان العرب" بقوله: « الغَرْبةُ و الغَرْبُ: النَّوى والبعدْ وقد تَغَربَ»

التغْريبُ: النَّفْيُ عن البَلَدِ، وعرب أيبَعُدَ، ويقالُ: اغْرُبُ عنى أي تباعد، ومنه الحديثُ: أنه أمر بتغريب الزاني.

التغرِيبُ: النفي عن البلد الذي وَقَعَتِ الجناية فيه: يقالُ: أغرَبته إذا نحيتهُ وأبعدته»[2].

لم يتوقف مصطلح الاغتراب عند هذين الاثنين بل تناوله أيضا "الزمحشري" في كتابه "أساس البلاغة" حيث قال:

«تكلم فأغرب، إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول: فلان يُعرب كلامهُ، وقد غربت هذا الكلمة أي غمضت فهي غريبة ومنه مصنف الغريب وقول الأعرابّي: ليس هذا بغريب

1- أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، د ط، 1430هـ، 2009م، ص 840.

2 – ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ج1، ص 3225.

ولكنكم في الأدب غُرباء، وأغربُ الفرسُ في جَرْبه والرجل في ضحكه إذا أكثر منه، ونهى عن الاستغراب في الضحك وهو أقصاه»[1].

فنجد أن الاغتراب في مصطلحه اللغوي يعني التنحي عن الناس والابتعاد عنهم وهذا المفهوم عند جميع الفلاسفة تقريباً.

اصطلاحا:

ارتبط مفهوم الاغتراب بأهم رواد الحركات الفكرية التي انعكست آراؤهم العلمية والثقافية والدينية على تفسير الاغتراب بمعان مختلفة مكملة لبعضها. « فقد لاقى مفهوم الاغتراب الكثير من الاهتمام المحاولة ضبطه، نظراً لتعقد هذا المفهوم تعددت وجهاته وأبعاده وارتباط بشكل وثيق بالجذور الفلسفية»[2]. وقد أجمعوا على أنه حالة نفسية يشعر فيها الفرد بالابتعاد والانفصال عن نفسه والآخرين وهو حالة مؤقتة تتصف بعدم التوافق بين رغبات الفرد وبين متطلبات الواقع ينتج عن مجموعة من الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية والدينية.

أولا: الاغتراب عند الغربيين:

1- عند هيجل:

« إن "هيجل" هو أول مفكر يستخدم في مؤلفاته كلها تقريبا، مصطلح الاغتراب على نحو منهجي ومنفصل، بل لقد استعمله في عنوان لصفحات تزيد على المائة في كتابه الأول « ظاهريات الروح» الذي نشره عام 1807 ويقول هذا العنوان: الروح المغترب عن ذاته:

1- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1998م، ص 698.

2- دانيال علي عباس، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، مخطوط رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس التربوي، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة دمشق، 2015-2016، ص 35.

الحضارة (الثقافة) وبذلك تحول الاغتراب على بدية من مجرد فكرة موجودة في أذهان بعض المفكرين وكلمة ترد في هذا المؤلف أو ذلك تحول إلى مصطلح فني ومفهوم دقيق»[1].

2- عند ماركس:

« فقد رود مصطلح الاغتراب صراحة في مؤلفات "ماركس" التي تعرف (مؤلفات الشباب)، مثل (المخطوطات الاقتصادية والفلسفية) التي كتبها عام 1844»[2].

« وقد قام "ماركس" بتحليل ونقد شاملين يقدمها الاغتراب الوجود الإنساني في شتى مظاهره، وخاصة الاغتراب الاقتصادي الذي يعد أصل لجميع مظاهر، وخاصة الاغتراب الاقتصادي الذي يعد أصل لجميع مظاهر الاغتراب الأخرى، وينتهي برؤية شاملة عن تناغم أو توافق لا يتم إلا عن طريق اجتماع الموجودات الإنسانية »[3].

لقد جاء الاغتراب لدى الفلاسفة الغربيين مرتبط بالوجود البشري وعلاقاته الاجتماعية، حيث أن الوعي الاجتماعي والصفات والقدرات هي العامل الذي يتحكم في وجود الاغتراب ونوعه.

ثانيا: عند علماء النفس:

الاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تتعارض فيها الشخصية للانشطار أو للضعف والانهيار، « يتأثر العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم في داخل المجتمع، مما يعني أن الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للشخصية للإنسانية، حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة »[4].

---

1 – محمود رجب، الاغتراب سيرة ومصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988، ص 13.

2 – المرجع نفسه، ص 17.

3 – ينظر، المرجع السابق، محمود رجب الاغتراب سيرة ومصطلح، ص 18.

4 – عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2003م، ص 81.

1- عند إيريك فروم:

« سار "إيريك فروم" على وتيرة "ماركس" في تناوله لمفهوم الاغتراب، فاهتم بقضية الانفصال خلال الخضوع، وظهر اهتمامه بقضية الاغتراب مبكراً فكانت القضية الرئيسية التي دار حولها الجدل في مؤلفه الهروب من الحرية عام 1941»[1].

2- عند فرويد:

« قد تحدث "فرويد" عن اغتراب كل من الهو والأنا والأنا الأعلى موضحاً أن الاغتراب الهو، يقصد به سلب حريته».

ويرى "فرويد" أن الاغتراب سمة متأصلة في وجود الذات في حياة الإنسان إذ لا سبل مطلقاً لتجاوز الاغتراب، ومن جهة نظر "فرويد" فإنه لا مجال لإشباع كل الدوافع الغريزية»[2].

ثالثا: عند العرب:

1- في الدين:

« ورد الاغتراب الديني في كافة الأديان على أنه الانفصال أو التجنب عن الله فقط جاء الاغتراب في الإسلام على هذه الصورة التي يوضحها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ة كما بدأ، فطوبى لغرباء".

فقليل من الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون إذ فسد الناس»[3].

1- المرجع السابق، عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات سيكولوجية الاغتراب، ص 82.

2- المرجع نفسه، ص 83، 84.

3- ينظر: محمد زكى العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ص 177- 179.

ولكن لم ترد كلمة الاغتراب في القرآن الكريم وإن كانت قد أشعار الجاهلين قبل الإسلام « ووردت في القرآن بفكرة وكانت واضحة وخاصة في قصة سيدنا آدم عليه السلام في سورة البقرة »[1].

قال تعالى: « وقلنا يا أدمُ أُسكُن أنت زوجك الجنة وكلا منهما رغداً حيث شئتُما ولا تقرباَ هذه الشجرة فتكونا من الظالمين»[2].

فنجد في الآية 36 من سورة البقرة قوله تعالى: « وقلنا اهبطوُا بعضكُم لبعضٍ عَدُوٌّ ولكم في الأرْضِ مستقَرٌ ومتَاع إلى حين 36»[3].

وفي هذه الآيات يبين لنا الله تعالى أول اغتراب وهو اغتراب سيدنا آدم وأمنا حواء عليهما السلام على الجنة، ويكون الاغتراب قد تزامن وجوده عند الإنسان في هذه القضية.

2- في الشعر العربي:

إن الاغتراب في الشعر العربي له جذور قديمة تناقلته بمرور العصور وعبر عنها الشعراء في ذلك العصر بالعديد من الطرق في شعرهم، وتناول الذات المغتربة فمن الضروري أن نجد نموذج من الاغتراب في الشعر الجاهلي تبين غموض الواقع وقسوة القبيلة على أبنائها والحياة اليدوية الصعبة التي تفرض على الإنسان التنقل والترحال الدائم وهنا يشعر الشاعر بغربته[4].

1- ينظر: أمين صالح محمود العمصي، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني، منشورات قار يونس بغازي، ليبيا، ط1، 1992، ص 99.

2- سورة البقرة، الآية 35.

3- سورة البقرة، الآية 36.

4- ينظر، أمين صالح محمود العصمي، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني، منشورات قاريونس بغازي، ليبيا، ط1، 1992، ص 99.

نستنتج في الأخير بعد كل هذه الأنواع من الإغترابات أن هناك تداخل فيها فكل واحدة من التعاريف تحمل معنى الابتعاد والتخلي أو الشعور بعدم الانتماء إلى ذلك المجتمع رغم من توفر كل ما يحتاجه في ذلك المكان.

الفصل الأول:

الاغتراب النفسي في شعر تأبط شرًا

1- الاغتراب النفسي.

2- أسباب الاغتراب النفسي.

3- الاغتراب النفسي وأنواعه في شعر تأبط شرًا.

الفصل الأول: الاغتراب النفسي في شعر تأبط شرًا.

1- الاغتراب النفسي:

لقد أخذ الاغتراب العديد من الأشكال وذلك من خلال حالة وطبيعة المعاناة التي مر بها الفرد، ومن بين أهم الأشكال والأنواع التي أخذها الاغتراب هي الاغتراب النفس والاجتماعي.

ويعرف الاغتراب النفسي على أنه: « اغتراب الذات والشعور بالعجز وعدم القدرة على التحكم في المواقف وصيرورة الحياة»[1] أي أن الفرد عند شعوره بأنه غريب وعدم استقراره النفسي يفقد السيطرة على ردود أفعاله، وهذه الحالة تكون نتيجة انفصال الفرد عن الآخرين وعدم قدرته على تقبله ل « يعود الاغتراب النفسي في أساسه إلى العلاقة المتوترة التي تربط الفرد بمجتمعه والتي تجعله يفقد توازنه النفسي وعلة وجوده وجوهره، وبذلك يدخل عالم (الاغتراب) الذي يشمل قدرته على الفعل والتحكم في مجرى حياته، ويودي به إلى الانفصال عن الآخرين والتخلي عن الحياة الاجتماعية»[2].

ولذلك يعتبر هذا النوع من الاغتراب شائعا ومنتشرا خاصة عند الأدباء والشعراء الجاهليين نتيجة لظروف حياتهم القاسية التي كانوا يعيشونها في القديم.

لأن « حياتهم كانت عبارة عن ترحال يتحولون من مكان إلى آخر، أو من طبيعة اجتماعية إلى طبيعة اجتماعية أخرى، الأمر الذي يخلق في نفوسهم كثيراً من الضيق

1- يوسف شكري فرحات، ديوان الصعاليك (الشقرى، عروة ابن الوردي، تأبط شرًا، السليك بن الساكة)، دار الجيل، بيروت، ط2، 2004م، ص 153.

2- ينظر، يوسف خليفة، الموقف النفسي عند شعراء المعلقات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 105.

والإحساس بالتعاسة، وهذا ما ينعكس على شعرهم، والإفصاح عما يشعرون به من اغتراب فيمتنهم »[1].

ومن هذا نجد ملامح الاغتراب النفسي واضحة في أشعار بعض الشعراء حين يتحدثون يحكون عن ما حل بهم من صعاب ومشاكل وضيق سواء كان نكرانا أو فقدانا، فتضيق خواطرهم وتصبح نضرتهم إلى الحياة مليئة بالحسرة والحزن وتصبح الأرض في عيونهم ضيقة عليهم، ويرونها ليست لهم حيز للفرار من حزنهم.

فالألم الداخلي كلما زاد جعل الشاعر يمر بحالة من القنوط النفسي فنجد بذلك فيشعره يصف ما مر به من حزن وألم، وكما نرى هذا النوع من أنواع الاغتراب النفسي عند الشعراء الصعاليك بالخصوص في العصر الجاهلي لأنهم كانوا يرددون أبيات من الشعر في كل موقف كان يمر عنهم سواء كان الموقف حزيناً أو سعيداً.

2- أسباب الاغتراب النفسي:

وكما تطرقنا فيما سبق عن الاغتراب على أنه العجز وخيبة الأمل للفرد حيث أنه يفقد كل ما يعطيه الرغبة من داخله وذلك لعدة أسباب ومن بين هذه الأسباب:

الابتعاد عن الوطن فإن « ترك الوطن والاغتراب عنه يخلق في نفس الشاعر مزيجاً من الحنين والأسى على فقدان ما كان من حياة وأحداث عاشها في وطنه خاصة أين نشأ وترعرع وهذا ما عانى منه الشعراء الصعاليك حين ابتعدوا عن أوطانهم وفارقوا أحبتهم، إلا أنهم تعودوا عن الاغتراب، وذلك واضح في قصائدهم التي نقلت إلينا، كما جاء في شعر الغربة والاغتراب »[2].

1- ينظر: عباس إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ط1، 1960، ص 117.

2- المرجع السابق، عبد الطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص30.

وهذا يعني أن الابتعاد عن الوطن له أثر كبير في النفس حيث أن الحنين يخلق في داخل المغترب إحساس الاغتراب النفسي.

ومن الأسباب أيضا الصراع الداخلي الذي يقوله من « انفصال الشخص عن ذاته، فإن هذا الانفصال الداخلي الذي يقع على ذات الشخص من شأنه أن يؤدي إلى اضطراب وفي هذه الحالة يتولد الاغتراب النفسي في داخل النفس وينتقل إلى الخارج لينعكس على تصرفاته»[1].

ويعد هذا السبب من أهم الأسباب والعوامل التي تقود إلى الاغتراب النفسي، وذلك لأن الإنسان سواء كان شخصا عاديا أو شاعرا يحس بغربته من خلال ذاته، وإنه غير قادر على التعامل مع نفسه والسيطرة عليها، وعدم التقبل، وهذا ما يجعله « يتجه لسوء السلوك أو التكيف والاغتراب»[2].

وهذا ما يعكس ما كان يعانيه الصعاليك وخاصة أولاد الحبشيات (الآمات) منهم السود الذين عانوا الانتباذ من جميع قبائلهم وخاصة ذويهم حيث خلق لهم عدم الرضى عن ما حولهم من قوانين ومبادئ وأعراف لقبائلهم ليكون في داخلهم نوع من أنواع الصراع بين نبذ الذات التي تعتبر منهم وهي ليست منتمية إليهم في نفس الوقت ليقرروا الرحيل والابتعاد للبحث عن نفسهم حيث خلق لهم النفس العدائية وقرار البحث عن الحرية من خلال الصعلكة والتمرد، عن هذه الأعراف.

1- ينظر، فرويد إريك، المجتمع السليم، ترجمة محمود محمود، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1960م، ص 102.

2- ينظر: إسكندر نبيل رمزي، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار الفكر الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1988، ص 39.

ومنه نجد أن الاغتراب النفسي عند هذه الفئة من الصعاليك في الأساس ناجم عن التميز العنصري والعرقي الذين عانوا من إهانات بسبب لون وسواد بشرتهم فكانوا غرب بين أناسهم الذين لم يقدروا وجودهم وحقهم الذين يحبوا أن يتمتعوا به.

على الرغم من كل البطولات والانتصارات وشجاعتهم التي تميزوا بها لذلك شعروا بهذا الاغتراب في داخلهم فاختاروا الهروب عندما وجدوا الحل، فكانت أشعارهم هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عما كان يجول في داخلهم من مرارة الإحساس بالنبذ وكانت هذه الأشعار مليئة بالصدق والأحاسيس التي شعروا بها.

3- الاغتراب النفسي وأنواعه في شعر "تأبط شرًا".

إن الشاعر "تأبط شرًا" من الشعراء الصعاليك الذين عانوا من الابتعاد عن قبائلهم بسبب أمهاتهم الحبشات الذي خلق في نفوسهم الاغتراب النفسي لإحساسهم بعدم الراحة فنظم الشعر الذي عبر عنه بما يخالجه من مشاعر وتميز هذا الشعر بنزعة إنسانية مقيد بحكمة وكانت فيه الألفاظ خشنة حيث إن شعره تميز كذلك بالعاطفة رغم صعوبة البيئة التي كانت حوله، حيث وصفها "حنا الفاخوري" في كتابه "الجامع في تاريخ الأدب العربي والأدب القديم" بقوله: « ونفس مكسورة بألفاظ وألفاظ تتراعى فيها العادات والنفسيات...هو أدب اعترافي قصي ملحمي وهو أدب نفسي من القلب وإن تسربل الأشواك والتحف بالرمال والنبال»[1]. وهذا ما جعل ظاهرة الاغتراب تندمج بأنواع فيشعره حيث:

أ- اللا منتمي:

من أنواع الاغتراب النفسي الذي ظهر في شعر "تأبط شرًا" هو اللا منتمي حيث يعرف هذا النوع من الاغتراب على أنه: « هو الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الإنسانية من

1- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي والأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ت، د ط، ص 171.

أساس رآه والذي يشعر بأن الاضطراب والفوضوية هما أعماق من النظام الذي يوم نبه قومه»[1].

حيث أنه يقصد بهذا أن الإنسان المغترب تعيسا لا يستطيع تقبل أفكار وآراء مجتمعه فيرى بأن هناك خللا لا يستطيع تقبله، فيساوره القلق والتشاؤم ويشعر بأنه غير منتمي إلى هذا المجتمع والحياة حيث أن هذا الإنسان رغم أنه ولد في أسرته وأفراد قبيلته إلا أنه اختلف معهم في الكثير من الأمور، وهذا جعله ينبذ المجتمع وفضل إبداله ببديل يرضيه، فنستطيع القول أن الصعلكة ظاهرة تجسد الاغتراب النفسي من حيث الانتماء، حيث أنها ثمرة من ثمار انعدام الشعور بالتوافق مع قيم الجماعة لغياب العدالة وتخلف أهم الشروط الضرورية التي يعتمد عليها التضامن الاجتماعي بين أفراد القبيلة، وهذا ما جعلهم يثورون عن قبائلهم وعاداتها ومعتقداتها، فاتجهوا إلى الصحارى وفضولها بحيواناتها ووحوشها على قبائلهم فكان لهذا تأثير بارز في نفوسهم بالغربة فظموا الشعر وكان هذا النظم صوتهم الذي عبروا به عن ما يخالجهم من شعور بالاغتراب ومن هذا ما مر به "تأبط شرًا" حيث قال:

« وَحشْحَشُ مَشْعُوفَ النَّجَاءِ كَأَنَّنِي هِجَفٌ رَأَى قَصْراً سَمَالاً ودَاجِنَا

مِنَ الحُصّ هِزْرُوفٌ كأَنَّ عِفَاءَهُ إِذَا اسْتَدرَجَ الفَيْفَاء ومَدّض المَغَابِنَا

أَزَجُّ زَلُوجٌ هَزرفيٌ زَفَازِفٌ هِزَفُ يَبُذذُ النَّاجِيَاتِ الصَّوَافِناَ »[2]

ونلاحظ أن "تأبط شرًا" يقوم بتسجيل ما يتعرض له في حياته التي يعيشها في الصعلكة وتترك له حيز فيها سواء كان هذا الموقف المعاش صعباً أو سهلاً، وهنا في هذه

1- عمارية سنساوي، الاغتراب في الشعر الصوفي في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير قسم اللغة العربية وأدبيا، السنة الجامعية 1434/1433هـ، 2013/2012م، ص 26- 27.

2- طلال حرب، ديوان تأبط شرًا، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص 104- 105.

الأبيات كان يحكي فيها عن عزوته مع صديقه الذي قتل فيها ووصف نفسه وفراره بأنه كالنعامة السريعة الخفيفة في الصحراء وصاحبه لم يكن كذلك لذلك قتل.

وكذلك في فكرة اللا منتمى يرى أن الشاعر "تأبط شرًا" كان يرى نفسه مختلف عن أفراد قبيلته وكذلك يستحق الأفضل لنفسه ولا يرضى أقل من ذلك لأنه يتميز بالعديد من الصفات التي تجعله أرقى منهم، « فكان حاد البصر والسمع، عداء يلحق الخيل والضياء، ويرسم "أبو كبير الهمندلي" في أبياته الأمية التي رواها "أبو تمتم" في حماسته صورة قوية "لتأبط شرًا"، يصور فيها قوته وصلابته وخفته وسرعة عدوه وكذلك جرأة قلبه، وشدة مراسه وكيف أعدته الطبيعة منذ طفولته المبكرة، بل من قبل طفولته، ليكون قويا يستطيع النهوض بالعبء الذي سيلقيه لحياته على عاتقه فيما بعد، ذلك العبء الذي لا يستطيع أن ينهض به إلا من أعدته الطبيعة له »[1].

وهذا ما جعله يردد في أشعاره اعتداده بنفسه وسرعته وشجاعته ويرى نفسه تميز بها على سائر البشر، حيث قال في قصيدته مفتخراً حين استطاع الفرار من أعدائه الذين أرسلوا من ورائه بالخيل لسرعته التي فاقتهم فقال:

« ليلةَ صاحُوا وأَغْرَوْا بِي سِرَاعَهُمُ بِالعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابنِ بَرَّاقِ

كأَنَّما حَثْحَثُوا حُصًّا قوادمه أَو أُمَّ خِشْفٍ بِذى شَثٍّ وطُبَّاقِ

لا شيءَ أَسْرَعُ مني ليس ذا عُذَرٍ وذا جَناحٍ بجنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ »[2]

1- ينظر: يوسف خليفة، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مكتبة الدراسات الأدبية دار المعرفة، القاهرة، كورنيش النيل، ط3، د ت، ص 40-41.

2- مرجع سابق، طلال حرب، ديوان تأبط شعرًا، ص 48.

وقال كذلك في أبيات أخرى يصف نفسه وسرعته في العدو بأنه يجاري الطير في السماء فقال:

«أُجاري ظِلالَ الطَيرِ لَو فاتَ واحِدٌ وَلَو صَدَقوا قالوا بَلَى أَنْت أَسرَعُ»[1]

فنجده في الأبيات الأولى قال: «لا شيء أسرع مني » وفي الثانية قال « أجاري ظلال الطير» بمعنى أن الطير في السماء لا يسبقه.

حيث أنه شبه نفسه كذلك في يقظته وانتباهه كما الذئب ينام بعين واحدة والأخرى مفتوحة فقال:

« إِذَا خَاطَ عَيْنَيْهِ كَرَى النَّوْمَ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِئٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحانَ فَاتِكِ»[2]

ولا يعتبر "تأبط شرًا" نفسه قد اكتسب هذه القوة من الحياة البرية التي يعيشها بل يقول أنه ولد بها وهذا ما جعله يخط قصيدته التي أتى في أبياتها بقوله:

« وَمَا وَلَدَتْ أُمّي مِنَ القَوْمِ عَاجِزًا وَلاَ رِيشِي مِنْ ذُنَابِي وَلاَ لِغَيْر»[3]

وكذلك من عناصر القوة النفسية وعزة النفس وشعورهم بعدم الانتماء إلى تلك الأعمال التي يصح نطلق عليها (الأعمال الفرعية في المجتمع) الأعمال التي كانوا يقدمونها للعبيد القيام بها، كخدمة الإبل والخيول والأنعام من أكل وشرب ورعى وغيرها، وكانت ردة فعل تأبط شرًا" تجاه هذه الأعمال الرفض القاطع وكان يريد تلك الأعمال التي يقوم بها السادة الأعمال الأساسية التي تقوم عنها القبيلة كالغزو والإغارة، فكان يعبر عن هذا "تأبط شرًا" بقوله:

« وَلَسْتُ بِرَاعِي ثَلَّةٍ قَامَ وَسْطَهَا طَوِيلِ الْعَصَاءُ رنَيْقِ ضَحْلِ مُرِسَّلِ»[4]

1- المرجع السابق، ، طلال حرب، ديوان تأبط شعرًا ، ص 41.

2- المرجع نفسه، ص 52.

3- المرجع نفسه، ص 20.

4- المرجع نفسه، ص90.

وكان كذلك يعبر عن خجله ويبين مكانه إنه وسط القادة والأبطال في المعارك فقال:

« مَتَى تَبْغِنِي مَا دُمْتُ حَيًّا مُسْلَّماً تَجِدْنِي مَعَ الْمُسْتَعِلِ المُتَعَبْهِلِ»[1]

ثم إنهم رغم كل هذا نجدهم كرماء، حتى ليضرب بهم المثل في كرمهم، فهم رغم إحساسهم بعدم الانتماء إلى هذه القبائل والأهل والأسر والأعمال إلا أنهم لم تنقص ممن طباعهم الحسنة من كرمهم وجودهم وحتى تمردهم وصعلكتهم لم تغير ذلك فهي كانت وسيلة لإثبات الذات وتحقيق النفس والتجرد من القيود فقط، وهنا في الصعلكة ذات تبحث عن الانتماء.

فوجدته في مجتمع الحيوان لأن "تأبط شرًا" استأنس بالوحوش فوجد عندهم ما لم يجده عند البشر لأنهم كانوا في عينه أن « الناس هم الوحوش ورأى الوحوش أجدر بالمعيشة والمعاشرة صار الحضور عنده اختيارًا يسنده الاغتراب عن الناس والإصغاء للكون أرحب، ذئابه، صناعة نموره، قطاعيه جنه صحراؤه وليله كله أهل لا يضيقون به ولا يضيق بهم»[2].

فقال في هذا "تأبط شرًا":

« يَبيتُ بِمَغنى الوَحشِ حَتّى أَلِفنَهُ وَيُصبِحُ لا يَحمي لَها الدَهرَ مَرتَعا

رَأَينَ فَتىً لا صَيدُ وَحشٍ يُهِمُّهُ فَلَو صافَحَت إِنساً لَصافَحنَهُ مَعا»[3]

ويقول في هذا أيضا:

« فَأَصبَحتُ وَالغولُ لي جارَةٌ فَيا جارَتا أَنتِ ما أَهوَلا»[4]

في هذه الأبيات للقصائد التي يدعى فيها الشاعر أنسته بالحيوان ويستشعر أنها مبطنة بالألم ومرارة الاغتراب الذي يخيم على قلبه، لحنانه لشعور الانتماء إلى بيئة غير

1- المرجع السابق، ، طلال حرب، ديوان تأبط شعرًا، ص 80.

2- عبد الحفيظ بورديم، النص الشعري العربي المعاصر، دار البشائر للنشر والاتصال، الجزائر، ط1، 2002، ص18.

3- عبد الرحمان المصطاوى، ديوان تأبط شرًا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 34.

4- المرجع نفسه، ص 48.

بيئته الحقيقية، حيث أن "تأبط شرًا" في حديثنا عن قصائده السابقة عن الألفة التي أصبحت بينه وبين الحيوان والوحوش والإحساس بالغربة ليس ببعده عن قبيلته بل أصبحت غربته في الصحراء حينما يفارقها، وهنا نجد نفسنا أمام عالمين مختلفين لا وجود بينهما للحوار فتستغرب هذه الألفة التي بينهم، فشاعر خلق عالم جديد أعطى فيه الإنسانية للوحوش والوحشية للإنسان.

ب- الإرتهان (انسلاب):

جاء في موسوعة لالاند الفلسفية لـ أندريه لالاند معنى الإنسلاب على أنه: « في معنى الحقوق والقديم: بيع أو تنازل عن حق إلى شخص آخر». وهو مجازًا: حال المنتسب إلى آخر [مولى، مملوك]

((إن الشخصانية جهد متواصل، بحثاً عن الأماكن التي يمكن فيها الإنتصار حاسم على كل الأشكال القمعية والارتهانية، الاقتصادية والاجتماعية والفكرية أن يؤدي إلى تحرير حقيقي للإنسان)) »[1].

ونعني بأن الانسلاب هو نسب إلى آخر والبحث على الأماكن التي تخلو من الارتهان والقمع.

ولكن الصعاليك رغم هروبهم لم يتخلصوا من تعبهم من الآخرين بل زادة غربتهم في جانب آخر، حيث نستطيع نمذجة الارتهان في حالة «الصعاليك واللصوص النفسية لسخرية المرأة منهم وامتناعها من الزواج منهم لسود لونه، ودمامة الخلق، وهزال الجسم وقلة المال وكثر من الصعاليك واللصوص تعرضوا لسوء المعاملة حتى من آبائهم، كما تعرضوا للتمييز بينهم وبين أبناء الحرائر وتسلطت نساء آبائهم عليهم، وسوء نظرة أفراد المجتمع لأبناء الآمات ولنسائهم»[2].

1- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عوديدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 43.

2- ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار المعارف، القاهرة، ط2، ج1، 1386هـ، 1968م، ص 235.

ويعاني كثير منهم من هذه المعاناة التي لا يستطيعون التخلص منها مهما ابتعدوا عن قبائلهم لأنها حازت في نفوسهم من صغرهم ارتبطت بهم برابط لا ينقطع ولو أرادوا ذلك والمشكلة التي حازت في أنفسهم أكثر هي أنهم كانوا يرون أمهاتهم حين يتعرضون للامتهان ولا يستطيعون الدفاع عنهم.

فالمرأة تعتبر مبعث للقلق والمشاكل وتشكل هاجسا كبيرًا لشاعر وهذا ما مثلته المرأة عند "تأبط شرًا" حيث شكلت نوعا وشكلاً من أشكال الاغتراب النفسي عنده للعبها دورًا سلبيا في حياته بداية بأمه إلى باقي النساء التي كانت في حياته.

حيث أن"تأبط شرًا" تميز بسلوكه العدواني تجاه أمه بعد زواجها من "أبو كبير الهذلي "بعد موت أبيه لأنه كان رافض هذا الزواج فقيل أن أمه كذلك كرهته وحاولت التخلص منه مع زوجها، لأنه لم يكن يأتي لها بالهدايا مثل أولادها الآخرين وكان عدواني تجاهها فتحكي في إحدى المرات أنها طلبت منه جلب هدية فأخذ بشوال وأتى لها به مملوء بالأفاعي وعندما سألها النساء عن ما جاء به لها قالت تأبط شرًا وهذا سبب تسميته "بتأبط شرًا".

ولم تتوقف معاناة "تأبط شرًا" من جهة المرأة عند أمه فقط بل ضمت حتى زوجته وصاحبته، حيث أن الصعاليك ومن ضمنهم "تأبط شرًا" كان كل واحد منهم يريد الاستقرار في حياة أسرية مستقرة ليعوضوا ما عشوه من حرمان، لأننا نتحدث هنا عن غرباء يبحثون عن أي حل لماساتهم ومن هنا « بحثوا عند المرأة عن مخرج مما هم فيه من عزلة فرصتها ربما يجدون الحب في غربتهم وحيث يتحد المحبان، يختفي الشعور بالعزلة والانقسام، وتكتسب الحياة خصوبة وامتلاء، فالصفة الأساسية للحب كما يرى البعض، تألف من كشف شخصية أخرى »[1].

ولكن غاب عن خاطرهم أن الاستقرار الأسري صعب بسبب ما عاشوه في الأساس وسيكون صعب مع طريقة عيشهم التي تعتمد على الغزوات وأخطارها والتهديد الذي يتبع الصعاليك بالموت في أي لحظة أو موت أحد أغرائهم وأحبائهم، حيث يحكى في أحد الغزوات لـ "تأبط شرًا" « ذات مرة خرج مع صاحبه الذي هو ابن عم لزوجته، في عزوة ولم

1- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ط3، 1958م، ص 357.

يعد صاحبه معه بعد ذلك من قبيلة بجبيلة لأنه قتل فيها فعاد "تأبط شرًا" وحده ولكن بكثير من الغنم، فقال لصاحبه اشتد فإني سأمنعك مادام في يدي سهم فاشتد الرجل ولجعله يرمي حتى نقذت نبال ثم اشتد فمت صاحبه ولم يطلق شده فقتل ونجا "تأبط شرًا"»[1].

وعند عودته إلى الديار عايرته زوجته بترك صاحبه من ورائه و اعتبرته غير جديرًا بالثقة التي يعطيها لمن معه وليس بتلك القوة التي نفسه بها لأنه لم يستطع حماية صاحبه وابن عمها من الموت في تلك الغزوة، فزعزعت كيانه بكلامها القاسي فرد عليها في قوله:

« تَقولُ تَرَكتَ صاحِباً لَكَ ضائِعاً وَجِئتَ إِلَينا فارِقاً مُتَباطِنا

إِذا ما تَرَكتُ صاحِبي لِثَلاثَةٍ أَوِ اِثنَينِ مِثلَينا فَلا أُبتُ آمِنا

وَما كُنتُ أَبّاءً عَلى الخِلِّ إِذ دَعا وَلا المَرءِ يَدعوني مُمِرّاً مُداهِنا»[2]

وهنا جاء الاغتراب على شكل فقد للإيمان بالنفس والقوة التي كانت عند "تأبط شرًا" عندما خسر صاحبه في معركته رغم الرجوع بالغنائم إلا أنه وقع هذا اللوم عنه، فأصبح يحيز في نفسيته هذا اللوم ويخلق له جانب من جوانب الاغتراب النفسي. ولم تقتصر معانات الصعاليك هنا فقط بسبب المرأة وخاصة "تأبط شرًا" فكما سبق التطرق لامه التي حملته الأغراب اللا منتمى وزوجته التي حلقت في نفسه الشك والريبة وتأنيب الضمير بلومه اله حتى صاحبته لم تكن لتختلف كثيرا فيما موقفها عنهم أو عن مجتمع الذي لم يرحمهم.

« فالمشكلة هذه المرة ليست مشكلة اللون أو مشكلة الفقر، بل هذا الموت الذي ينتظر الزوج عند كل ثنية أو كل منعطف من منعطفات الطرق وهذا الباحث عن الموت ينتقي معه الاستقرار الأسري الذي تنشده المرأة حياتها الأسرية صحيح أن الموت قادم لا

1- ينظر: المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرا، ص 103.

2- المرجع نفسه، ص103.

محالة، ولكن المرأة لا تستطيع أن تأنس إلى زوج يتخذ من فزع الليل ورعبه رداء، خوفها من الترمل »[1].

وهذا ما لحق "بتأبط شراً" عندما رفضته الفتاة التي أراد الواجب ها من قبيلة بي عبس وكان سبب الرفض شجاعته وعدم خوفه من الموت وهذا ما جعل حياته ليست مضمونة وعندما توعدته لذلك ولكن رغبت عنه، فنصرف عنها عند ذهابه لسؤالها وكانت إجابتها بهذا ورد عليها بقصيدته فقال:

« وَقالوا لَها لا تَنكِحيهِ فَإِنَّهُ لِأَوَّلِ نَصلٍ أَن يُلاقِيَ مَجمَعا

فَلَم تَرَ مِن رَأيٍ فَتيلاً وَحاذَرَت تَأَيُّمَها مِن لابِسِ اللَيلِ أَروَعا»[2]

وكان هذا القرار ليس قرار المرأة وحدها بل كان مجموعة من الأحاديث التي قيلت لها من أفراد قبيلتها ونبهوها إلى ما كانت لا تستطيع رايته والانتباه له، لترسو في الأخير إلى قرار الابتعاد و العدول عن وعدها بزواج منه، لكي لا تقف في موقف لا تستطيع العودة عنه بعد عصيان قبيلتها وزاج منه.

من جهة القبيلة فهما وجهان لعملة واحدة، فالمرأة لا تمتلك أن تعصي رأي القبيلة وتجازف مع رجل صعلوك حياته في خطر دائم، فالناس يكادون يرفضونه من شدة ما يلاقيه من الأخطار والمصاعب والأعداء.

إن هذا الرفض الذي يعكس كما أسلفنا رفضاً قبليا، لطالما عاني منه الصعلوك، إلا في الحالات النادرة، في حياته حيث استعاض عنه بالسلب والسلبي مرغما وليس بدافع من طباعه الشريرة وفي هذا المعنى يقول تأبط شرًا:

1- عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003م، ص 122.

2- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرًا، ص38.

« وَلاَ أَتَمَنَّى الشَّرَ والشَّرَ تَارِكِي ولَكِنْ مَتَى أُحْمَلُ عَلَى الشَّر أرْكَبُ»[1]

ولكن رفض المرأة للزواج لا يعني التمنع عن الصعاليك فكانت المرأة هنا ليست قادرة على التمرد فقط بزواج منهم ولكن على الرغم من هذا كله فإن الشاعر الصعلوك لم يتخلى قط عن مبادئه التي طبعت حياته المضطربة، وفي «وسط كل هذه الفوضى يطالعنا الصعلوك بأخلاق عالية وثوابت إنسانية رفيعة، وخاصة ما تعلق منها بالعفة فيخلقهم الاجتماعي كما يبدو ذلك واضحا في أشعاره، فقد سميت إلى درجة من النبل لا نظن أن شعرا صور خلقا أو نبلا منها وليس شعرهم وحده هو فأخبارهم أيضا لا تعارض هذا ولا تنفيه،بل تؤيده وتؤكده...»[2].

ج- الاكتئاب:

من الأشكال الأغراب النفسي كذلك الاكتئاب ونلاحظ أن هذا المصطلح نجده في حياتنا اليومية فنطلقه على الحزن الشديد الذي ينتابنا ونستطيع تعريفه أنه « حالة من الشديد المستمر الذي ينتج عن الظروف المحزنة، أو هو التعبير عن الشيء المفقود، حيث لا يعني المريض المصدر الحقيقي لحزنه واكتئابه »[3].

كذلك أتى (بمعنى تقني)، يقال على الاضطرابات العقلية المميزة بحزن غير سوي ومزمن إشكالية كثيرة، وهناك أيضا (معنى شائع وأدبي) حزن بسيط يُصاحب التأمل أو الحال اليومية[4].

وهذه الحالة من الضيق والحزن والألم والكآبة لا نجد إنسان لم يعشها في فترة من فترات حياته حيث أنه عند المرور بهذه الفترة نجد هذا الفرد يحاول العزلة والخلو لنفسه ليصفى ذهنه الصمت والكآبة والحزن والنظرة السوداء للعالم من حوله كلها مظاهر تجعله يعيش الحياة مكتئبا مغترب والاكتئاب حالة تطعمها تصرفات ظاهرة.

1- المرجع السابق، طلال درب، ديوان تأبط شرًا، ص19.

2- عبد الحكيم حقي، شعر الصعاليك منهجه، وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1987، د ط، 337، 338.

3- عبد الرحمان الوافي، مدخل إلى عالم النفس، دار الهومة، الجزائر، د ط، 2006م، ص 254.

4- المرجع السابق، اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفي، ص 782.

فهذا الحزن الذي يسكن الفرد هو ما يجعله مبدعا حقا فيقدر المعاناة النفسية صورة التجربة واضحة في العمل.

فالشاعر في اكتئابه الإبداعي وليس المرضي نجده يبحث عن ذاته من خلال ما يحيط به، فإن كانت الصورة من حوله مضطربة اضطراب شعوره.

واحتواء الحزن، وتلبدت سماؤه بالكآبة وهذا ما صوره لنا "تأبط شراً" في أبياته التالية قائلاً:

« قَليلُ غِرارِ النَومِ أَكبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَأرِ أَو يَلقى كَمِيّاً مُقَنَّعا»[1]

حيث أن الحزن بدوره كذلك يحمل الغربة والاغتراب حيث أن الشاعر مرهف الإحساس عند مواجهة المجتمع يحس بغربة فائقة و نستطيع القول أن الاغتراب من أسباب المباشرة في تحريك مشاعر الشاعر وإطلاق إبداعه كما قلنا في حالة "تأبط شرًا".

« ولقد جرت الثورة والتمرد لدى الصعاليك على كثر منهم للويلات والمصائب ولكنهم لم يحيدوا عن موقفهم فتيلاً، بل زادهم إيماناً وإصرار على تحقيق ما آمنوا به، فتحملوا ذلك سبيل ذلك عناء»[2]، فمثلاً حين حدث الشاعر نفسه، أو هي معقودة على حال مضت ثم هجمت عليه أشجانه وهمومه، فعزف على قيثارته الخاصة تتوارد لنا قصيدة "تأبط شعرا" بعد أن نجا من عُقال المكيدة والأسر قائلا:

« يا عيدُ ما لَكَ مِن شَوقٍ وَإيراقِ وَمَرّ طَيفٍ عَلى الأَهوالِ طَرّاقِ

يَسري عَلى الأَينِ وَالحَيّاتِ مُحتَفِياً نَفسي فِداؤُكَ مِن سارٍ عَلى ساقِ»[3]

1- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرًا، ص38.

2- محمود سليم هيا جنة، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دار الوضاح للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، د ط، 1426هـ، 2005م، ص 31- 32.

3- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرًا، ص 48.

فكان مركزا للمعاناة والشعور بالاغتراب التي اجتاح الشاعر منها، ولكن الحياة في نظر الشاعر لا مجال فيها للفرح ولا فائدة ترجى من محاولة استجلاء العيب، وعلى الإنسان لا يركن إلى الأماني الخادعات وأن لا قيمة للمال أمام زوال الأشياء الحتمي ورحيلها... و«الصورة القائمة التي يحملها الموت في الوحدة الموحشة في نهاية الأمر، بعد أن يرحل الجميع وقد وسدوه التراب إلى الأبد، هذا الإحساس بالغربة الذي يعمقه الموت، وإنما كانت في الرعب، الكامن وراء الموت ذاته، فما يقوم به هذا الوحش... فالموت لدى هذه الفئة من الشعراء الصعاليك ليس هو الراحة الدائمة التي يتمناها الإنسان بعد رحلة الحياة الشاقة، إنه يأخذ لدينا فيما يبدو العدو الذي لا يرحم »[1].

وإذا كان الموت يمثل الهزيمة والغياب فكان الإفلات والفرار يمثل الانتصار، ولو إلى وقت لاحق فقد كان الموت لهؤلاء الشعراء مراد فالمعني الضياع والغربة، وهذه النهاية الحزينة التي ترتبط بالموت، فيقول "تأبط شرًا" في هاته الأبيات:

« كَأَنّي أَراها المَوتَ لا دَرَّ دَرُّها إِذا أَمكَنَت أَنيابَها وَالبَراثِنا»[2]

حيث أن "تأبط شرًا" كان يفر من الموت عند غزواته وهذا لم يكن ضعفا بالنسبة له بل كان الموت في حد ذاته بالنسبة له هو الهزيمة التي تستمتع بها الحياة التي كان يتمرد عليها في الأساس.

ولو تأملنا في شعراء هؤلاء لوجدنا العديد من المبررات لهذا الهروب تختلف في المواقف بقول تأبط شرًا":

« أَقولُ لِلَحيانٍ وَقَد صَفِرَت لَهُم عِيابي وَيَومي دَيِّقُ الحِجرِ مُعوِرُ»[3]

إن تجربة الأغراب النفسي التي انعكست انعكاسا بارزا في شعر "تأبط شرًا" كانت متفرعة ومتنوعة لتنوع أحداث حياته التي عاشها وتركت أثرها في نفسه.

1- المرجع السابق، عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 158.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 105.

3- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرًا، ص 34.

الفصل الثاني:

الاغتراب الاجتماعي في شعر "تأبط شرًا

1- الاغتراب الاجتماعي.

2- أسباب الاغتراب الاجتماعي.

3- الاغتراب الاجتماعي وأنواعه في شعر "تأبط شرًا".

الفصل الثاني: الاغتراب الاجتماعي في شعر "تأبط شرًا"

1- الاغتراب الاجتماعي:

يعد الاغتراب ظاهرة إنسانية اجتماعية، لا يحددها زمان ولا مكان، فأينما وجد الإنسان تكون بجانبه، بمختلف أشكالها وصورها ويعرف الاغتراب الاجتماعي على أنه: «عدم الثقة في الآخرين والشعور بعدم الانتماء إليهم والانعزال الاجتماعي واللا معيارية التي يبدأ الفرد فيها متمردًا على القوانين والقيم والأعراف التي تلتزم عادة المجتمعات بها، وهو كذلك الشعور بالعجز عن التكيف مع الأوضاع السائدة في مجتمعه»[1].

كما قد عرفه مفيد قميحة بقوله: « وفي معناه الاجتماعي الانسلاخ عن الواقع الفاسد والعداء والتصدي له، بحيث يبدو هذا الواقع وكأنه كائن متجمد يتخبط في أوحال تتلصق بها الأقدام، فلا يستطيع أن يستوعب تطلعاته التي يحاول بها أن يضيء خطوط المستقبل، ويرسم طريق الأمة في مدارج الرقي والتقدم، ومنه الاغتراب الاجتماعي، وهو الأغراب عن المجتمع، ومغايرة معاييره والعزلة الهامشية الاجتماعية، والمعارضة والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي »[2].

في هذا الصدد نجد أن الإنسان لا يمكنه ممارسة أي سلوك طبيعي داخل مجتمعه بسبب غربته عن الأهل والمجتمع.

« كما يعني باختصار شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين وعن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة السياسية الحاكمة، إضافة إلى ذلك ما يصحب من إحساس بالألم والحسرة أو بالتشاؤم واليأس، وما يرافقه أحياناً من سخط أتمرد أو نقمة أو ثورة »[3].

1- عبد القادر بلعابد، الاتجاه نحو العنف وعلاقته بالاغتراب لدى الشباب في ضوء متغيري الثقافة والجنس رسالة دكتوراه في علم النفس، 2013م، 2014م، ص 13.

2- مفيد قميحة، الاتجاه النفسي الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار النفاق الجديدة، بيروت، 1981، ص 395.

3- سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، دار الينابيع، دمشق، ط1، (د ت)، ص 13.

وظهر الاغتراب عن المجتمع جلياً عند فئة من الشعراء الجاهليين، هي فئة الشعراء الصعاليك، الذين يمكنه أن تميز مجموعتين:

مجموعة فرض عليها هذا الاغتراب، وتتألف من الشعراء الخلعاء الذين نبذتهم قبائلهم وطردتهم من حماها، وقطعت كل صلة بينهم وبينها، بسبب تصرفاتهم التي تخالف منطق القبيلة وقوانينها.

« ومما لا شك فيه أن اغتراب الطائفة، كان نتيجة دوافع اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية، ولكن ومهما كانت الأسباب المؤدية إلى اغتراب الصعاليك، وسواءً كان اغترابهم مفروضًا أم اختياريًا، فقد جمع بينهم على اختلاف قبائلهم، الفقر والجوع والتشرد»[1].

كادت أن تكون الأسباب نفسها بالنسبة لجميع أفراد الصعاليك فقراً وجوعاً وحرماناً من الحياة الطبيعية داخل مجتمعاتهم وقبائلهم.

« ولقد كان الشاعر الجاهلي، مشغولاً بالمصير والقدر وغربته في الحياة، ومن هنا جاء شعرهم – كما يقال– يمثل الإنسان وهو يعاني من وحدته في الكون دون إيمان بعقيدة دينية، تشد من أزره إبان حياته أو تعطيه الأمل في الحياة وأخرى تحمل له الفراء والأمل، وربما أضافوا إلى غياب العقيدة، عامل الطبيعة التي كانوا يعيشونها على ما هي عليه من قسوة. وعلى نظام اقتصادي لا يقل على الطبيعة في قسوتها، ونمط من الحياة الاجتماعية، يعتمد على وحدة القبيلة، وما يحمل هذا النمط الاجتماعي في داخله من عناصر الشقاق والتناحر، ربما أضافوا كل ذلك للدلالة على دوام خطر الموت واحتمال حدوثه بين لحظة وأخرى»[2].

1– ينظر: المرجع السابق، سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، ص 84، 89.

2– مرجع سابق، عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 147، 148.

2- أسباب الاغتراب الاجتماعي:

هناك تغييرات عدة لضياع الشباب واغترابه عن مجتمعه ومن أهمها:

1- الفجوة بين الأمل والواقع، بمعنى أن اتساع هذه الفجوة يؤدي إلى الإحباط وزيادة الشحنات العدوانية لدى الشباب.

2- اختلاف العدالة التوزيعية، وفي هذه يتحول الإحباط إلى سلوك عدواني.

3- الحرمان النسبي والإحساس بالظلم مما يولد الغضب والسخط، فيفرض على الشاب رفض النظام القائم داخل مجتمعه.

4- عدم وجود هدف للمغترب، يرشد مسيرته في الحياة، وينقده من الضياع[1].

5- النظرة إلى الحياة نظرة عبثية، وعدم وجود معنى لها.

6- شعوره بأنه مجرد من إنسانيته... ويعامل على هذا الأساس، مما يجعله يشعر بعدم الأمان والاطمئنان.

7- تمرده ورفضه لأية التزامات يضعها المجتمع، ويعمل مقاومتها بكل السبل.

8- فقدان الانتماء، سواءً لعقيدة دينية، أو للوطن بسبب اهتزاز القيم وعدم اكتراثه بها.

9- التهافت على المادة، التي أصبحت بالنسبة له غاية وليست وسيلة ومن أجلها يمكن أن يفعل أي شيء يفسد الحياة[2].

1- ينظر: صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي والاجتماعي، وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران لنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 1431هـ، 2010م، ص 24.

2- ينظر: المرجع السابق، صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي والاغتراب، ص25.

« والإنسان بوصفه كائنًا اجتماعيا فإنه يتأثر بتلك العوامل البيئية والمجتمعية التي تحيط به، ويكون لهذه العوامل سببها في تشكيل شخصية، وإظهار عناصر نفسيته، فإن المجتمع بكل ما فيه من مكونات له تأثيره المباشر على الشخص، وهذه المؤثرات تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن زمان إلى آخر، فالمؤثرات التي كانت قبل قرنين من الزمان، ليست هي ذاته في العصر الحاضر، كما أن المؤثرات التي تبرز في عصرنا الحاضر ليست هي ذاتها التي ستؤثر في القرون المقبلة على البشرية»[1].

فالإنسان وليد بيئته يؤثر ويتأثر بها، فإن عاش في بيئة آمنة مستقرة يستقر في نفسه ويعيش الأمان الداخلي والخارجي، أما إذا عاش في بيئة لا أمان ولا استقرار فيها يعيش داماً في خوف ورعب، كما يحدث في بعض البلدان المستعمرة...

« ومن هنا فإن الاغتراب الاجتماعي يتعلق بجانب الحياة لكل فرد ضمن مجتمعه، فإنه لاشك سيحس بأنه غريب ضمن المجموعة، خاصة إذا كان ذلك الإطار الاجتماعي لا يلبي لهذا الفرد كافة رغباته الاجتماعية، ولا يؤدي له الدور الذي يصبوا إليه، من خلال تحقيق ذاته، أو اسهامه في إنجاز تلك الجوانب الاجتماعية، التي يرى فيها تحقيق شخصيته، وإنجاز كيانه الاجتماعي الذي ينمو نحوه، ويتجه إليه»[2].

نجد هنا أن من أهم أسباب الاغتراب عدم تلبية حاجيات الفرد داخل مجتمعه، وعدم تحقيقه لما يريد وابراز ذاته داخل أفراد مجتمعه الذي يعيش بينهم.

«والشاعر في ذلك شأنه شأن أي فرد من أفراد هذا المجتمع، من حيث أنه يرجو أن يكون فاعلا في مجتمعه، قادرا على التغير فيه، والتبديل في مستوياته، بما يخدم متطلباته

1- ينظر: شاخت ريتشارد، الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1989، 84.

2- أمال عبد المنعم حراسيس، ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالا إلى متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة الكرك، الأردن، 2016، ص 19.

النفسية والاجتماعية، ومن هنا فإنه إذا أحس بأن مجتمعه لا يلبي له هذه التطلعات، ولا يقدم له الفرصة كي يثبت لهذا المجتمع أنه فاعل فيه، فإنه دون شك سيقع في بوتقة الاغتراب، وسيصاب بهذا الداء الاجتماعي، ويعبر عن هذا الإحساس من خلال قصائده على ما سنبين فيما بعد»[1].

3- الاغتراب الاجتماعي وأنواعه في شعر تأبط شرا:

كثيرا ما يحدث الاغتراب عند الإنسان والحيوان، ويختلف اختلافا واضحا، فالحيوان يشعر ويحن إلى اوطانه وأوكاره بعد مغادرتها من زمن، أما الإنسان فيغترب عن الأفراد والمجتمع وقوانينه حيث ينقسم الاغتراب الاجتماعي إلى ثلاث أنواع وهي كالآتي:

أ- الاغتراب الفردي:

«ونقصد به ذلك الإنسان المعزول عن العلاقات مع الآخرين، الذي لا يقبل بقيم المجتمع»[2]، فيراه الناس مريضا اجتماعيا، وهذا ما حصل للعديد من الشعراء العرب قديما من الصعاليك، فقد أبو العيش داخل القبيلة لما قدمته لهم من ظلم وجور في حقهم وحق الضعفاء والفقراء، ومن على رأسهم تأبط شرا، الذي وصف هروبه من قبيلة بجيلة قائلا:

كأَنَّما حَثْحَثُوا حُصًّا قوادمه أَو أُمَّ خِشْفٍ بِذى شَثٍّ وطُبَّاقِ

حتى نَجَوتُ ولمَّا ينْزِعُوا سَلَبي بِوَالِهِ مِن قَبِيض الشَّدِّ غَيْدَاقِ

عارِى الظَّنَابِيبِ مُمْتدٍّ نَوَاشِرُهُ مِدْلاجِ أَدْهَمَ وَاهِي الماءِ غَسَّاقِ

كالحِقْفِ حَدَّأَهُ النَّامُونَ قلتُ له ذُو ثَلَّتَيْنِ وذُو بَهْمٍ وأَرباقِ[3]

1- المرجع السابق، أمال عبد المنعم حراسيس، ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، ص 20.

2- فاطمة الزهراء بن يمينة، الاغتراب عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، كلية الفنون والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016- 2017، ص15

3- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرا، ص 48، 49.

«ذكر في هذه القصيدة حادثة هروب الشاعر من قبيلة بجيلة، إذ أنهم كمنوا له عند إحدى عيون المياه، فاستطاع الهروب منهم برفقة الشنقرى وعمرو بن براق، الذي عرف بسرعته الفائقة، وبأنه من الأشخاص الذي لا يثق لهم على بكورة إلى العمل، ثم ذكر كرمه وثباته عليه رغم الذي يتعرض له»[1].

قد كان تأبط شرا رجلا شهما قويا يصور معظم الأحيان هروب، أعدائه إذ لم يعد ضعفا منه أبدا، ولم يكن يراعي لهم اهتماما لكثر تهم من حوله، فقد كان يركض مسرعا دائما حتى لا تصيبه السهام.

«إن التمرد بوصفه ظاهرة سلوكية طبيعية في الإنسان، مهما كان وضعه الاجتماعي أو الثقافي، لكنه يخضع في ظهوره لاعتبارات معينة، بعضها شخصي وبعضها الآخر خارجي، فلابد أن يمر الإنسان بأوضاع صعبة، أو يصطدم بقرارات مجحفة أو يعيش بواقع متعفن، فيدعوه ذلك إلى التمرد على كل ما ينافي اتجاهه في الحياة»[2].

لا يأتي التمرد من قرارة نفس الإنسان هباء، فلا بد من وجود أسباب اجتماعية عدة، مما تجعله رافضا لقوانين مجتمعه وطبيعة سيرورة أنظمته، رفض بعض آلياته السائد.

«وإذا كان الإنسان يتمرد لأنه يرفض أو ينصاع لظروف يجدها غير محتملة وهو يجد ما يبرر تمرده، أو يعطيه الحق في التمرد، فالصعلكة كما ترى كانت في جانب من جوانبها على الأقل – عند شعرائنا هؤلاء تمردا على ظروفا يعايشونها، تجاوز حدود الاحتمال، وكانت مسوغا لهم في تمردهم، ومواجهتهم الحادة بين ذواتهم الثائرة وبين المجتمع، هذه المواجهة التي جعلتهم يقبلون العذاب والألم و الغربة والتشرد»[3].

1- ينظر، المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرا، ص 47.

2- رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دارا لأيام لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 107.

3- المرجع السابق، عبد القادر عبد الحمدي زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 111، 112.

فقد بين لنا من تأبط شرا في بعض أبياته مدى قسوة ومرارة حياة الغربة من فقر وجوع وخوف، في قوله:

قَليلِ اِدِّخارِ الزادِ إِلّا تَعِلَّةً وَقَد نَشَزَ الشُرسوفُ وَالتَصَقَ المِعى

يَبيتُ بِمَغنى الوَحشِ حَتّى أَلِفنَهُ وَيُصبِحُ لا يَحمي لَها الدَهرَ مَرتَعا

عَلى غِرَّةٍ أَو جَهلَةٍ مِن مُكانِسٍ أَطالَ نِزالَ المَوتِ حَتّى تَسَعسَعا

رَأَينَ فَتىً لا صَيدُ وَحشٍ يُهِمُّهُ فَلَو صافَحَت إِنساً لَصافَحنَهُ مَعا

وَلَكِنَّ أَربابَ المَخاضِ يَشُفُّهُم إِذا اِقتَفَروهُ واحِداً أَو مُشَيَّع

وَكَيفَ أَظُنُّ المَوتَ في الحَيِّ أَو أَرى أَلَذُّ وَأَكرى أَو أَبيتُ مُقَنَّعا

وَلَستُ أَبيتُ الدَهرَ إِلّا عَلى فَتاً أُسَلِّبُهُ أَو أَذعَرُ السِربَ أَجمَعا

وَإِنّي وَاِنْ عُمِرْتُ لَأَعلَمُ أَنَّني سَأَلقى سِنانَ المَوتِ يَبرُقُ أَصلَعا

وَمَن يُغرَ بِالأَبطالِ لابُدَّ أَنَّهُ سَيَلقى بِهِم مِن مَصرَعِ المَوتِ مَصرَعا[1]

ومن هنا نجد ان تمرد " تأبط شرا"، كان لأسباب عديدة أهمها طرد وخلع قبيلته وخلع قبيلته، وكان نتيجة طبيعة لمجموعة من العوامل المعقدة منها طلب الرزق، ومعارضة القبيلة، فالاغتراب هنا كان صوبا بنفسه، فيترك قبيلته، أو بلاده خوفا من القيود والسجن وتكون الصحراء والجبال الملاذ الآمن للفارين من سلطة القبيلة والدولة.

ففي الأبيات السابقة، ومن معاناة ومقاساة حياة الصعلكة، وما قاساه من تشرد وغربة ومغامرة دائمة في الصحاري بين الوحش، حيث الجوع والخوف، وتوقع الموت في كل حين.

1- المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ص34.

«ولم يكن هؤلاء المتمردين فيما يبدو، سوى أن يعترفوا بأنفسهم ذاتها وسط العالم كي يحددوا نوعية إنسانيتهم، انطلاقا إلى أفق رحب ينأى بالإنسان عن هذه الحياة الخلوية، ولكن الطريق لم يعد معدا كما نتوهم، فطريق التمرد شاق وموحش»[1]، كما حدثنا عنه تأبط شرا:

وَشَعبٍ كَشَلِّ الثَوبِ شَكسٍ طَريقُهُ مَجامِعُ صوحَيهِ نِطافٌ مَخاصِرُ

بِهِ مِن سُيُولِ الدَلوِ بيضٌ أَقَرَّها جُبارٌ لِصُمِّ الصَخرِ فيهِ قَراقِرُ

تَبطنتُهُ بِالقَوْمِ لَم يَهدِني لَهُ دَليلٌ وَلَم يُثْبِتْ لِيَ النَعتَ خابِرُ

بِهِ سَمَلاتٌ مِن مِياهٍ قَديمَةٍ مَوارِدُها ما إِن لَهُنَّ مَصادِرُ[2]

وصف لنا " تأبط شرا " في هذه الأبيات شجاعته وقدرته على اجتيازه لدروب الصحراء، وحده دون دليل، حتى وإن لم يكن يعرف طبيعة الطريق الذي يسلكه، فهو إنسان مغامر يريد صنع طريقه بنفسه ويجعله مختلفا عما ألف الناس.

وفي حادثة انتصاره عن بنو الحيان وتفوقه عليهم بالحيلة يذكر لنا في قوله:

أَقولُ لِلَحيانٍ وَقَد صَفِرَت لَهُم وطَابِيَ وَيَومي دَيِّقُ الحِجرِ مُعوِرُ

هما خُطَّتَا إِمّا فِداءٌ وَمِنَّةٌ وَإِمّا دَمٌ وَالقَتلُ بِالحُرِ أَجدَرُ

وَأُخرى أُصادي النَفسَ عَنها وَإِنَّها لَمُوَرِدُ حَزمٍ إِن فَعَلتُ وَمَصدَرُ

فَرَشتُ لَها صَدري فَزَلَّ عَنِ الصَفا بِهِ جُؤجُؤٌ عَبلٌ وَمَتنٌ مُخَصَّرُ

فَخالَطَ سَهلَ الأَرضِ لَم يَكدَحِ الصَفا بِهِ كَدحَةٌ وَالمَوتُ خَزيانُ يَنظُرُ[3]

1- المرجع السابق، عبد القادر عبد الحمدي زيدا ، التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي ، ص 131.

2- المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 29.

3- المرجع نفسه، ص 31.

«لم يكن أمام " تأبط شرا " وهو في هذا المأزق الذي وضعه فيه بنو الحيان سوى أن يختار بين الأسر من ذلة ومهانة أو الهروب حتى الموت، ولكننا نراه يترك هذين الاتجاهين ويتخذا اتجاها آخر... فنراه ينحى خواطر الكبرياء والشجاعة ليتخذ من العقل هاديا له حيال هذه المحنة المحيطة فيركن إلى الخدعة والمكر، وبذلك يستطيع الشاعر أن يحرز النصر لا على بني الحيان فقط بل على الموت أيضا»[1].

وقد جاء هذا النصر برجاحة العقل وحدة الذهن، وهذا ما أوضحه في قوله:

إِذا المَرءُ لَم يَحتَل وَقَد جَدَّ جَدُّهُ أَضاعَ وَقاسى أَمرُهُ وَهوَ مُدبِرُ

وَلكِن أَخو الحَزمِ الَّذي لَيسَ نازِلاً بِهِ الخَطْبُ إِلّا وَهوَ لِلأَمرِ مُبصِرُ

فَذاكَ قَريعُ الدَهرِ ما عاشَ حُوَّلٌ إِذا سُدَّ مِنهُ مِنخَرٌ جاشَ مِنخَرُ[2]

وقد دافع " تأبط شرا " عن فراره وعن هروبه من العدو محافظا عن حياته من الهلاك في قوله:

ولَمْ أَنْتَظِرْ أنْ يَدْهَمُونِي كَأَنَّهُمْ وَرَائِي نَحْلٌ فِي الخَلِيَّةِ وَاكِنَا

وَلاَ أَنْ تُصِيبَ النَّافِذاتُ مَقَاتِلِي وَلَمْ أَكُ بِالشّدِ الذَّلِيقِ مَدَاينا

فَأَرْسَلْتُ مثنياً عَنِ الشَّرِّ عَاطِفاً وَقُلْتُ تَزَحْزَحْ لاَ تَكُونَنَّ خَائِنَا[3]

ففي القصيدة افتخر الشاعر بحيله وحكمته في الفرار والنجاة والخلاص من العدو، فهو يفر ليس لأن جبان بل لأنه مناور، ويفر فرص أكثر لنجاته وبقائه حيا، فهو يرى في الثبات فرصة لإهلاكه.

1- ينظر: المرجع السابق، عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي، ص 155، 156.

2- المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 30.

3- المرجع نفسه، ص 73.

وللهروب والنجاة «كانت تقف الإغارة في صدارة الوسائل التي يبنى عليها الصعاليك اقتصاديهم، لذا يعد الاهتمام بتفاصيلها من حذق وحذر، ومعرفة جدية بالمكان ومن أسلحة وخيول من روافد الخبرة، التي يؤدي تراكمها إلى انتاج الحكمة والمعرفة اللازمين لإنجاح الإغارة ، فتكون الحيلة وسيلة للشخص الحازم الذي يشعين بها في مواطن الخطر وهو الذي يعمل للأمر حسابا قبل أن يؤخذ على حين غرة»[1].

ومن أهم عوامل الاغتراب التي فرضت على الشاعر الصعلوك " تأبط شرا " هي العزلة «التي تعني الإحساس بالوحدة والانسحاب من العلاقات الاجتماعية أو الشعور بالذنب" وهذا ما حدث لـ "تأبط شرا " حينما اعتزل قبيلة وجميع قيودها القاسية والإنسان لا يمكن أن يعي اغترابه إلا إذا انفصل عن الحشر، وتخلص من الروابط التي من شأنها أن تفقده الوعي بذاته»[2].

وما انفصل "تأبط شرا" عن مجتمعه إلا لعجزه عن التكيف معه وسعيا للحصول على الحرية، والحياة والانطلاق من قسوة الظروف والقيود، قائلا في هذا:

يَبيتُ بِمَغنى الوَحشِ حَتّى أَلِفنَهُ وَيُصبِحُ لا يَحمي لَها الدَهرَ مَرتَعا[3]

«وقد كان هذا الاغتراب يدور حول محورين، محور يجمع بين الفقر والعوز والحرمان، ومحور يجمع بين عذاب العبودية لاختلاف اللون، وهو أن المنزل الاجتماعية، وهما محوران قد يختلفان في الظاهر، ولكنهما لا يتباينان في الحقيقة، لأنهما كما قال يمثلان وجهين لعملة واحدة، ونعني بها مأساوية الحياة الاجتماعية بالنسبة إليه جميعا»[4].

1- ينظر: عمار المسعودي، الحكمة في شعر الصعاليك، دراسة تحليلية، العدد الثاني عشر، ص 301.
2- المرجع السابق، صلاح الدين احمد الجماعين الاغتراب النفسي و الاجتماعي، ص 64.
3- المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 34.
4- المرجع السابق، عبد القادر عبد الحمدي زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص 113.

فاعتبر هذين الأخيرين من أهم سمات حياة الصعلوك قديما، فقد كان عزيز النفس لا يستجدي طعامه من أيدي الناس، بل يحصل على زاده بنفسه ولا ينتظر ذلك من أحد، حتى ولو كان صديقا، فكثيرا ما صارع هذا الفقر والجوع الشديد، فيصف نفسه بأنه لا يملك من الزاد إلا تعلة تحول بينه وبين الموت، حتى برزت أضلاعه من جسمه، والتصقت أمعاؤه من الجوع ، فيقول:

قَليلِ اِدِّخارِ الزادِ إِلّا تَعِلَّةً وَقَد نَشَزَ الشُرسوفُ وَالتَصَقَ المِعى[1]

وقد شبه حاله هذا بحال الذئب الذي يعتمد على فريسته في الجوع في قوله:

وَقِربَةِ أَقوامٍ جَعَلتُ عِصامَها عَلى كاهِلٍ مِنّي ذَلولٍ مُرَحَّلِ

وَوادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفرٍ قَطَعتُهُ بِهِ الذِئبُ يَعوي كَالخَليعِ المُعَيَّلِ

فَقُلتُ لَهُم لَمّا عَوى أَنَّ شَأْنَنَا قَليلُ الغِنى إِن كُنتَ لَمّا تَمَوَّلِ[2]

وشبهه في تحوله إلى أحد الذئاب متحدثا إليها، فليس في جسمه إلا هيكل من العظم الضخم في صدره، ولكنه عظما لا يحمل لحما، وقد وضعه في قوله:

كِلانا إِذا ما نالَ شَيئاً أَفاتَهُ وَمَن يَحتَرِث حِرثي وَحَرثَكَ يُهزَلِ[3]

«قد وصل الشاعر حاله إلى الفقر المدقع والشديد، حين يصف تمزق نعله فيقول أن الجبال التي يتسلق صخورها ليصل إلى مكمنه الذي يزاول منه صعلكته، هذه الصخور في حاجة إلى نعل متينة نقي قدميه وأصابعهما من تمزيق الصخور، ولكنه لا يملك إلا نعلا بالغة الرثاثة»[4]، فيقول:

1- المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 34.

2- المرجع نفسه، ص 62.

3- المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 34.

4- المرجع السابق، عبد الحليم خفى، شعر الصاليك منهجه وخصائصه، ص 186.

لا شَيأَفي ريدِها إلّا نَعامَتُها مِنها هَزيمٌ وَمِنها قائِمٌ باقِ

بِشَرثَةٍ خَلَقٍ يوقى البَنانُ بِها شَدَدتُ فيها سَريحاً بَعدَ إِطراقِ[1]

ب- اغتراب الجماعة:

ليس بالضرورة أن يأتي الاغتراب فرديا، فيتجاوز ذلك إلى مجموعة من الأفراد الذين ينظمون إلى جماعة واحدة «فيكون الجماعة التي ينتمي إليها الفرد مستلبة ومعزولة عن المجتمع والفرد الذي يتقمص هذه الجماعة، يوصف على أنه مغترب ثقافيا أو سيء اجتماعيا»[2].

فجميع المغتربين يراهم المجتمع مجرد فئة ضالة لا فائدة منها، لا تنفع المجتمع ولا نفسها، معيقة لسير قوانينه محاولة إفساد نظامه، ومن بين أهم الجماعات المتمردة قديما نجد الصعاليك.

«ويمكن تمييز الصعاليك في ثلاث مجموعات: الخلعاء والشذاذ (حاجزا وقيسا وأبا الطمحان) والأغربة السود (السليك وتأبط شرا والشنفري) والذين احترفوا الصعلكة احترافا (عروة بن الورد) والفقراء المتمردين، ومن هؤلاء تألفت عصابات الصعاليك التي قطعت صلاتها بقبائلها، وانطلقت إلى الصحراء كالذئاب الجائعة، تشق طريقها في الحياة بنفسها، ولقد جمع بين أفرادها الفقر والتشرد والتمرد والظلم الاجتماعي والاقتصادي»[3].

فكانت جميع العوامل مشتركة بالنسبة للصعاليك مما أدى بهم للخروج عن قبائلهم والتشرد في الصحراء مع الحيوانات وذلك بسبب طرد قبائلهم.

1- المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبط شرا،ص 42.

2- المرجع السابق، فاطمة الزهراء ين يمينة ، الاغتراب عند شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 15.

3- عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1986.

«وإذا أخذنا جماعة الصعاليك وجدناهم يؤلفون طائفة من الشعراء الذين لاقوا مرارة الغربة ولم فراق القبيلة، فاضطربت في داخلهم النار الشوق والحنين إلى القبيلة، بعدما طردتهم القبائل وخلعتهم، والخلع هو العقاب الذي تفرضه القبيلة على أحد أفرادها كنوع من العقاب»[1].

فقد أراد المجتمع البدوي القبلي إذلال وإخضاع الصعاليك تحت سلطتهم لكنهم لم يرضوا بذلك وتحدوهم وخرجوا من القبلية، "فتأبط شرا" مثلا لم يرضى بقيام الأعمال التي تنزل من كرامتهم كخدمة الإبل وغيرها.

وَلَستُ بِتِرعِيّ طَويلٍ عَشاؤُهُ يُؤَنِّفُها مُستَأنَفَ النَبتِ مُبهِلِ

وَلَستُ بِراعي ثَلَّةٍ قامَ وَسطَها طَويلِ العَصَافِرِ يَنْفَضِحُ لَمُرَسِّلِ[2]

«والخليع يبحث عن الأمن والاستقرار يحسن الجوار مع قبيلة أخرى، أو عصابة يلتجأ، فإذا تخلى عن الجوار أو الحلق يعلن ذلك على الملء وإذا أجاره أحد يعلن ذلك أمام الناس، ويقول داخل في وجهه، أو في جواره فلا يلحق به أذى اعتدى عليه وهو بجواره فإن قبيلة المجير هي التي تقتص من الذي اعتدى عليه»[3]، فنجد الخليع يقرر بنفسه إلى أي مجموعة سينتمي ويمكنه قول ذلك علنا للناس، فلا يستطيع أحد بعدها أن يصيبه أو يظلمه فهو تحت رعاية القبلية الجديدة.

«وهكذا فقد اتخذ الشعراء الصعاليك من الهامش قاعدة للانطلاق، رافضين الأعراف الاجتماعية السائدة، من دين بضرورة التعبير والاحلال بالعدالة، فجاء خطاب الصعلكة

1- نوزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان، الاردن، 2012، ص14.

2- المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 54.

3- فتحي رشيد شديفات، الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية النصر العباسي الأول، أطروحة دكتوراه، تخصص الأدب والنقد في جامعة البرموك أربد، الأردن، 2006، ص 99.

بمثابة خطاب المعارضة، وقد صاحب خروجهم عن نظام المجتمع خروجا عن قواعده الفنية التي كرسها شعر القبيلة، بما فيه من نمطية وتقليد»[1].

فهنا نجد أن الشاعر لم يخرج عن النظام القبلي بل خرج حتى عن القواعد الفنية للشعر آنذاك، فرفضوا التقليد في مجموع أشعارهم.

فبعد هذا الوضع المزري الذي أدى بالشاعر إلى الاغتراب عن قبيلة، رأى بلزوم العيش وسط الجماعة لا منفردا.

«فلا يستطيع الإنسان في البيئة القاسية أن يعيش بمعزل عن الجماعة ومواجهتها منفردا، ولكي يتعزز شعوره بالقوة والأمن، كان لابد له من الانتماء إلى جماعة قوية، يوحد نفسه بها وولاؤه بها، وهي حاجة نفسية واجتماعية، لأنه يعتمد في حياته المادية والمعنوية على الآخرين، وهو بحاجة أولى من يشد بأزره، ولاسيما وهم يواجه الطبيعة الصحراوية سواء كان طريدا أو يعمل في رعاية المواشي التي يأنف العرب العمل ببعض الأعمال التي توكل إلى العبيد»[2]، وهذا ما جعل "تأبط شرا" أن ينظم إلى جماعة الصعاليك، لتوحيد قوتهم وتخلصهم من الذل والعار الذي عاشوه داخل القبيلة، وسط الصحراء القاسية، والحيوانات الموحشة.

«فقد كون الصعاليك تنقلت من مكان إلى مكان تسلب المارة وتغير على أحياء العرب، لترزق نفسها ومن يأوي إليها، وتكون أكثر الصعاليك من الشباب الطائشين الخارجين على أعراف قومهم، ومن الذين لا يبالون ولا يخشون أحدا من القبائل العربية المختلفة»[3].

1- عبد العزيز بزيان، صورة المرأة في شعر الصعاليك العصر الجاهلي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011، 2012، ص 24.

2- المرجع السابق، ينظر: يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 73.

3- المرجع نفسه، عبد العزيز بزيان، صورة المرأة في الشعر صعاليك العصر الجاهلي، ص 14.

فقد كانوا يمارسون الغارة على الرعاة ومن يملكون الزاد والمؤونة، ومارسوا ما يمارس قطاع الطرق، لأجل سرقة وسلب لقمة العيش، إذ نجدهم حذرين جدا في أخذ ما يريدون من المارة بطرق ذكية وقوية، فقد ترقب:" تأبط شرا " عجوزا عليها ثياب بالية، في قوله:

وَمَرقَبَةٍ يا أُمَّ عَمرٍ طِمِرَّةٍ مُذَبذَبَةٍ فَوقَ المَراقِبِ عَيطَلِ

نَهَضتُ إِلَيها مِن جُثومٍ كَأَنَّها عَجوزٌ عَلَيها هِدمِلٌ ذاتُ خَيعَلِ[1]

إن اختيار المراقب بهذا العلو والبعد على الخطر، ويعود إلى مدى خبرة الصعلوك وحكمته، وبطه بين هذه المراقب والعجوز الشمطاء التي راها تتموج بين طيات الصخور بما تدخره من خيرات تكدست تحت تجاعيدها على مر السنين.

«وقد رفضت طائفة الأغربة تلك الحياة الهامشية، حيث كان منهم من تمرد على ذلك الوضع الاجتماعي الذليل المحتقر الذي عليه، لأن لديه من القوة النفسية مما يجعله يرفض قبوله ومن القوة الجسدية ما يمكنه من رفع راية العصيان في وجه هؤلاء السادة، حيث يصفهم الثعالبي أنهم كانوا سودان شجعان، ويصف أبو الفرج الأصفهاني أن "تأبط شرا" كان اللص الشجاع»[2]. فقد كان أقواهم وأسرعهم وأعداهم:

لَيلَةَ صاحوا وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى اِبنِ بَرّاقِ

كَأَنَّما حَثحَثوا حُصّاً قَوادِمُهُ أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبّاقِ

لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي لَيسَ ذا عُذَرٍ وَذا جَناحٍ بِجَنبِ الرَيدِ خَفّاقِ[3]

1- المرجع السابق، عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تابط شرا، ص 61.

2- حسن عيسى الحكيم، طوائف الصعاليك في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، طائفة الغرباء أنموذجا، الكلية الإسلامية الجامعة، المنجف الأشرف، كلية الآداب، جامعة الكوفة، د ت، ص 22.

3- المرجع السابق، عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 41.

فهنا يتمحور الاغتراب الاجتماعي في عدم قدرة الشاعر على معايشة أفراد قبيلته ومحاولته الهروب دائما منهم، بسبب لحاقهم الدائم به وإرادتهم للتخلص منه، فبرغم ما أرسلوه أعدائه من خلفه من خيل سريعة إلا أنهم لم يتغلبوا عليه.

«والعرب تطلق لفظة أو تسميه الأغربة على أولئك الأشخاص من أبناء الإماء السود والحبشيات، الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، وكانت العرب فيما عرف عنها تبغض لون السواد بقدر ما تحب لون البياض، ومن ثم كان لونهم هذا حاجزا دون اعتراف أبائهم»[1].

ولهذا اغتربوا عن هذا المجتمع الظالم الذي يميز بعضهم وبين السود، فقرروا الابتعاد بعيدا عن كل ما يحبطهم وتكوين شخصيات فذة قوية تسعى الاثبات ذواتها وكفاءتها أمام العرب البيض، فكل يمثل نفسه في هذه الغربة.

«وإن إحساس هؤلاء الأغربة بلونهم الأسود الذي اتخذ طابع الندب على حضضوهم التعيسة، وما كانوا يرون أنفسهم وأهلهم يهانون، إلا أنهم كانوا لا يملكون، إلا أن يكونوا صوت احتاج على الحياة من حولهم وعلى مأساتهم نفسها، ولم يبق أمامهم إلا الصعلكة إلى حد رفع السلاح، بوجه المجتمع الذي يعيشون فيه، وبعبارة أدق الذي يعيشون على حافته»[2].

وقد تمردوا أيضا بسبب نسبهم الغير شريف، ونظرة المجتمع لهم نظرة ظالمة، فكانوا يصنفون من العبيد، وذلك للحفاظ على كيان القبيلة وعدم الاخلال في قوانينها، فهم لم يعترفوا لابهم ولا بآبائهم لعار ولادتهم، فقد ضاعف المجتمع من حرمه إزاء هذه الطائفة، فأطلق عليهم الأغربة السود.

والذي يبدو أن هذه الحياة القاسية، وهذه الغربة الملعونة قد جعلت هؤلاء الفقراء الصعاليك، يتكتلون في مواجهة قسوة المجتمع والطبيعة أنهم لا يسمحون للخلاف أن يدب

1- المرجع السابق، عبد العزيز بزيان، صورة المرأة في شعر صعاليك العصر الجاهلي، ص 15.

2- المرجع السابق، حسن عيسى الحكيم، طوائف الصعاليك في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ص 23.

بينهم، وإن أحدهم ليؤثر أن يضحي بكل يملك في سبيل الحفاظ على أصحابه وعدم تمزيق وحدتهم.

فها هو الشنفري يصف "تأبط شرا" رفيقه، بأنه أم العيال التي تشرف على إطعام عيالها وأبنائها، ولأن الطعام قليل فإنها لا تعطي إلا القليل، في قوله:

وَأُمَّ عِيالٍ قَد شَهِدتُ تَقوتُهُم إِذا أَطعَمَتهُم أَو تَحَت وَأَقَلَّتِ

تَخافُ عَلَينا العَيلَ إِن هِيَ أَكثَرَت وَنَحنُ جِياعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

وَما إِن بِها ضِنٌّ بِما في وِعائِها وَلَكِنَّها مِن خيفَةِ الجوعِ أَبقَتِ

مُصَعِلِكَةٌ لا يَقصُرُ السِترُ دونَها وَلا تُرتَجى لِلبَيتِ إِن لَم تُبَيَّتِ[1]

«ويتحدث " تأبط شرا " عن رفاقه حديث المعجب بهم، المعتز برفقتهم، المقدر لقيمتهم في حياته المغامرة، تلك الحياة التي يحياها وحيدا إلا منهم فهم عونه في هذه الحياة، يستعين بهم عليها، ويستعين بهم إذا أفزعه أمر، وهم دائم أبطال شجعان شعث، لكثرة انشغالهم بالغزة والكفاح، والضرب في أعماق الصحراء وجوب أفاقها، عيونهم نفاذة تتوقد بنار الحماسة والجرأة والإقدام كأنها نار الغضا المتأججة»[2]. في قوله:

مَساعِرَةٌ شُعثٌ كَأَنَّ عُيونَهُم حَريقُ الغَضا تُلفى عَلَيها الشَقائِقُ[3]

وهو لا ينسى مساعدتهم له في مغامراته سائلا المولى أن يجازيهم حسن الجزاء:

جَزى اللَهُ فِتياناً عَلى العَوصِ أَمطَرَت سَمائُهُمُ تَحتَ العَجاجَةِ بِالدَمِ

فإذا تألم أحدهم خسارة سقط صريعا أشد حزن البقية عليه لحبهم لبعض.

1- المرجع السابق، عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص 138.

2- المرجع السابق، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص 209.

3- المرجع السابق، عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 38.

«وهو يرى أن فقد أحدهم خسارة لا تعوض، وإضعاف للجماعة التي تشق طريقها في الحياة بقوة أبنائها الممتازين، أولئك الذين يمتازون بما يجب أن يمتاز به كل صعلوك عامل، من بصر بكسب المحامد، وسبق إلى غايات المجد، وقوة وزعامة بين الرفاق، وخفة في الجسم، وجرأة على اقتحام الأموال والسري في الليل البهيم المظلم، وشجاعة فائقة، ورأي صائب، وكرم واسع، وفصل في الأمور وحب الحركة والغزو وبعض المتعة والإقامة والاستقرار»[1]

جـ- اغتراب قانوني:

«هو وجود نظرة مختلفة للقانون من طرف مختلف الجماعات الموجودة في المجتمع، المعاملة المختلفة للبيض والسود، أو الأغنياء والفقراء»[2].

حيث كانت تفرض عليهم مجموعة من القوانين التي تطبق داخل القبيلة، سواء كانت عادلة أو غير عادلة «فلقد كانت الروح القبائلية هي الأساس في الرؤية الجاهلية على الغالب، وأن هذه الروح كانت توفر إمكانية المساواة النظرية بين كل أفراد على الصعيد النظري، لكن الفوارق في الواقع العملي كانت كبيرة جدا، لأن الحياة القبلية مؤسسة على مبدأ القوة أولا، وعليه فإن تحقيق المساوة كان ضربا من المستحيل»[3]، كان نظام القبيلة قديما فاسدا لا يسعى لتحقيق أي مساواة فيعتمد على مبدأ القوة ، فلا حياة للضعيف والفقير آنذاك، سوى أنهم من العبيد.

«وقد أدى هذا الواقع الظلم بمجموعة الصعاليك إلى رفضه والتمرد على قيم القبلية والخروج عنها، فهي قيم أسسها القهر واللاعدالة، فالقبيلة تقدر هؤلاء، ولم تعترف بكفاءتهم

1- المرجع السابق، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص 210.

2- المرجع السابق، فاطمة الزهراء بن يمينة، الاغتراب عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 17.

3- أمينة بوعلامات، الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث، في الفترة (1980، 1925)، تلمسان، 08 جوان، 2011، ص 26.

(معظمهم كان يمتلك صفات الشجاعة والقوة)، واحتقرتهم لفقرهم، فكرهوا الفقر، لأنه سبب في هوان منزلتهم الاجتماعية»[1].

فهذه الفئة سئمت هذا الوضع المذل لشخصهم القوي ، وأحبطت جميع أعمالهم وقدراتهم الفردية، فلم يعجبهم هذا التميز العنصري، سواء في اللون بينهم وبين البيض، أو في درجة الغنى أمامهم وأمام الأسياد لذا اغتربوا عن هذا المجتمع اللئيم الذي يأكل فيه القوي الضعيف، فهو لم يحترم قط إنسانيتهم، لا من عمل ولا من لون ولا نسب أيضا.

«فقد كانت العلاقات بين هاتين الطبقتين: طبقة المالة والطبقة الصعاليك من السوء إلى حد بعيد، فقد كانت الطبقة الأولى مسيطرة على كل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وقد رأينا أن حق التشريع كان في أيديهم، وإلى جانب هذا كانوا تارة هم المسيطرون على الحياة الاقتصادية، فكانوا يعملون أحيانا إلى التلاعب بالأسواق، أو المضاربة بالدراهم والدنانير والتبروا لنقود الأجنبية، فكانوا تارة يزيدون في وزنها أو قيمها وطورا يخفضون تبعا لمصالهم الشخصية وجريا وراء جشعهم المعهود»[2].

كما لا ننسى ضالة النسب تعد عامل كبير في اغتراب " تأبط شرا " فهو من أحد أغربة العرب، فكان لابد عليه من التعويض عن ذلك فخرج متصعلكا كباقي أقرانه بالتهادي في إظهار قوته ليعوض شعوره بهذا النقص الاجتماعي وبصعلكته وتمره للانتقام من المجتمع لوضعه هذه الفواصل غير المنطقية بينه وبين أبناء الحرائر فأغلبهم من طبقة العبيد والموالي.

ومن هنا نخلص إلى أن الاغتراب الاجتماعي أفقد الصعاليك الإحساس بالعصبية القبلية، أو الانتماء إلى المجتمع القبلي، وقد تطورت هذه الحالات إلى عصبية منهجية، فكفروا بعصبتيهم القبلية، وسحبت منهم هويتهم بالخلع والطرد، وقد زادت عداوتهم بقبائلهم،

1- المرجع السابق، بوعلامات أمينة، الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث، ص 26.

2- المرجع السابق، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص 136.

إذ أصبحوا يؤمنون أن الغنى والثروة والحق لا يأتي ولا يسترجع إلا بالقوة، أي بالسلاح والغزو في سبيل استرجاع شرفهم ورئاستهم، ومكانتهم داخل المجتمع، وهذا ما أدى بـ "تأبط شرا" إلى الخروج للصحراء، ومخالفة قوانين مجتمعه، محاولا العيش بالاستلاب والقوة من أسياد المجتمع أو القبيلة، التي كان يعيش فيها، فقد عاش فيها مظلوما خائفا على حياته يتوقع الموت في أي لحظة من طرف أعدائه، سواء من قبيلته أو غيرها من القبائل الأخرى التي كان يفر دائما حين لحاقهم به، فهو كان الأقوى دائما، رغم كل الظروف المعيشية والمأساوية، التي تعرض لها في حياته، من أهل وأصدقاء وحبيبة، هكذا عاش " تأبط شرا " مذلولا مهانا من طرف مجتمع ظالم مستبد، ينتصر فيه الغني على الفقير والقوي على الضعيف، في وسط صحاري قاسي يصعب العيش فيها.

الفصل الثالث:

تجليات الاغتراب فنيا في شعر

" تأبط شرا ".

1- اللغة الشعرية.

2- الصورة.

3- توظيف الموسيقى.

الفصل الثالث: تجليات الاغتراب فنيا في شعر" تأبط شرا ".

كان الجانب الفني من أهم ما يجمل القصيدة العربية قديما، فتبين من خلاله مدى إبداع الشاعر في شعره، فنجد في شعر "تأبط شرا"، مجموعة من الخصائص الفنية، واللغوية، التي تزيد من جماليات قصائده من لغة شعرية فذة وصور فنية تبين طبيعة ما عاشه، وما واجهه في حياته، كما سنذكر الموسيقى الشعرية التي نهج بها " تأبط شرا" معظم قصائده.

1- اللغة الشعرية:

تعد اللغة الشعرية الجزء الهام في بناء القصيدة، فهي المقياس الذي نتمكن بواسطته معرفة الاتجاه الفني للشاعر، فهي وسيلة الشاعر الأولى في التعبير عن أحاسيسه وتصوير مشاعره وانفعالاته، وتجسيد مواقفه والأحداث التي يتعرض لها في حياته، فقد «كانت اللغة الشعرية في شعر الصعاليك قديما، كالعملة التي اتفق المجتمع الأدبي على أنها، أساس التبادل الفكري بين أفراده جميعا، وقد اختلف القدماء في شرحها وفي تفسيرها لصعوبتها، فهي تحتاج إلى إجهاد فكري كبير في بعض الأحيان، فنحن لا نستطيع قراءتها دون الرجوع إلى المعاجم اللغوية الكبيرة والتي احتوت على الكثير من هذه الأشعار التي كثر فيها الغريب فشعر الصعاليك مليء ويعج بهذه الألفاظ الغريبة»[1]، فنجد " تأبط شرا" على رأس الشعراء الصعاليك في صعوبة لغته، وهذا ما سنجده من خلال عرضنا للأبيات الأتية:

وَحَثْحَثْتُ مَشغُوفَ النَجاءِ كَأَنَّنِي هِجْفُ رَأَى قَصْراً سَمالاً وَداجِنا

مِنَ الحُصّ هُزروفٌ كأن عِفَاءُهُ إذا اِستَدرَجَ الفَيفاءَ وَمَدَّ المَغابِنا

أَزُجُّ زَلوجٌ هِزْرُفِيٌّ زُفازِفٌ هَزِفٌ يَبُذُّ النَاجِياتِ الصَوافِنا[2]

1- ينظر: شوقي المعري، الخصائص اللغوية والنحوية في شعر الصعاليك، 11- 09- 2018، ص 2.

2- المرجع السابق، عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 73- 74.

فنلاحظ في هذه الأبيات الثلاثة أن كل كلمة تحتاج إلى تفسير، ومن الصعب أن تفهم من المرة الأولى، نجد أنه يجب علينا الرجوع إلى المعاجم اللغوية العربية، فاغلبها تعني السرعة، والركض والهروب، والفرار، الحقيقة التي عاشها: "تأبط شرا" والصعاليك، فهو يصف هنا ركوبه للحصان المجنون المذعور الذي يركض بسرعة الظليم وقت غروب الشمس، ولأجل فهم الأبيات أكثر نشرح فيما يلي بعض المفردات التي تطرق لها الشاعر:

حَثْحَثْتُ: اضطربت وتحركت ، **الهِجْفُ:** هو ذكر النعام الذي كبر سنه

السِمَالَ: الدود المجتمع في الماء، **الَداجِنُ** : كل ما الف العيش في البيوت من الحيوانات.

الهَزْرُوفٌ: هو ذكر النعام السرع الخفيف، **العِفَاءُ:** كل ما كثر وطال من الريش

الفَيفاءَ: الصحراء الواسعة، **المَغابِن:** جمع معين وهو الابط.

الأَزُجُّ: ذو الساقين الطويلتين والخطوات المتباعدة، زَلوجٌ: أي سريع .

هِزْرُفِيٌّ: بمعنى سريع أيضا، **زُفازِفٌ:** تعني أنه يجري سريعا متواصلا.

هَزِفٌّ: ذو الريش الطويل، **الصَوافِن:** جمع صافن وهو ما أقام على ثلاثة قوائم[1].

وقد تميزت اللغة الشعرية عند "تأبط شرا" بمجوعة من المميزات والخصائص أهمها:

– التخلص من ميزة الاستهلال بالأطلال، التي قد عمد الشاعر الجاهلي الابتداء بها في قصائده الشعرية التي يكتبها، فتأبط شرا استبدلها بعض المقدمات ذات الطابع الفروسي في قوله:

أَلا مَن مُبلِغٌ فِتيانَ فَهمٍ بِما لاقَيتُ عِندَ رَحى بِطانِ

بِأَنّي قَد لَقيتُ الغولَ تَهوي بِسَهبٍ كَالصَحيفَةِ صَحصَحانِ

1– ينظر: المرجع السابق، عبد الرحمان المصطاوي، ديوان "تأبط شرا"، ص 73– 74.

فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أَينٍ أَخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني[1]

كما قد تميزت بعض قصائده بالقصر فعمدها إلى كتابة مقطوعات شعرية، ويعود سبب هذا إلى طبيعة الحياة التي كان يعيشها، من تواجد القلق إلى جانب التوتر، وكذلك السرعة التي لا تسمح لهم بأن يطولوا في شعرهم، كقوله:

قصدية الشيخ :

إِذا وَجَرٌ عَظيمٌ فيهِ شَيخٌ مِنَ السودانِ يُدعى الشَرَّتَينِ[2]

قصيدة الطعنة:

قَد أَطعَنُ الطَعنَةَ النَجلاءَ عَن عُرُضٍ كَفَرجِ خَرقاءَ وَسطَ الدارِ مِسكينِ[3]

قصدية قد ضقت:

قَد ضِقتُ مِن حُبِّها مالا يُضَيِّقُني حَتّى عُدِدتُ مِنَ البُؤسِ المَساكينِ[4]

وكذلك القصصية الشعرية التي تتمتع بها تأبط شرا في بعض كتاباته الشعرية المتنوعة، فقد قص مغامراته وحياته والتشرد الذي مر به في قوله:

أَقولُ لِلَحيانٍ وَقَد صَفِرَت لَهُم وطَابِيَ وَيَومي دَيِّقُ الحِجرِ مُعوِرُ

هما خُطَّتَا إِمّا فِداءٌ وَمِنَّةٌ وَإِمّا دَمٌ وَالقَتلُ بِالحُرِ أَجدَرُ

وَأُخرى أُصادي النَفسَ عَنها وَإِنَّها لَمُوَرِدُ حَزمٍ إِن فَعَلتُ وَمَصدَرُ[5]

1- المرجع السابق، عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 74- 75.

2- المرجع نفسه، ص 76.

3- المرجع نفسه.

4- المرجع نفسه، ص 76.

5- المرجع، نفسه، ص 30.

كما نجد في شعر تأبط شرا ميزة الواقعية التي تصور حياتهم المعاشة فعبر عنها في قوله:

إذا الحَربُ أَولَتكَ الكَليبَ فَوَلِّها كَلَيبَكَ وَاعلَم أَنَّها سَوفَ تَنجَلي[1]

وقد عمد أيضا في لغته الشعرية مجموعة ألفاظ تبين المغامرات التي يعيشها آنذاك في قوله:

فَيَوماً بِغُزّاءٍ وَيَوماً بِسُريَةٍ وَيَوماً بِخَشخاشٍ مِنَ الرَجلِ هَيضَلِ[2]

الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي يعرف بأنه مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثل ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية[3].

ومنه نقف على مجموعة من الحقول الدلالية المتوافرة في شعر تأبط شرا لأن لغته الشعرية ركزت على ألفاظ الطبيعة وألفاظ الحياة الاجتماعية في شعره حيث أن الفاظ الطبيعة كانت حسية وغير حسية.

أ- ألفاظ حسية:

حيث قال تأبط شرا في بيته الشعري:

وَيا رِكبَةَ الحَمراءِ يا شَرَّ رِكبَةٍ وَكادَت تَكونُ شَرَّ رِكبَةِ راكِبِ[4]

وهنا يقصد بألفاظ الحمراء بالناقة التي يكون لونها أشبه بالون الأحمر.

1- المرجع السابق، عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 67.

2- المرجع نفسه، ص 60.

3- ينظر: أحمد مختار، علم الدلالة ، مكتبة دار العروب للنشر والتوزيع، الكويت، 1982م ، د ط، ص 79.

4- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرا، ص 15.

ب- ألفاظ غير حسية:

وفيها تستطيع ذكر قوله الشعر للبيت التالي:

وَمَرَرْن حَتَّى كُنَ لِلْمَاءِ مُنْتَهىَ وَغَادَرهُنَ اَلْسَيْلَ فِيمَا يُغَادُر[1]

والسيل أحد أسماء الأمطار وفي البيت: مررن أي ذهب السيل بهن بين الصخور ومنتهى أي مستقر.

2- الصورة :

إن الصورة الفنية من الخصائص الشعرية التي يعتمد عليها الشعراء في شعرهم، فهي تصوير لجميع حالت الشاعر، إذ يصور فيها طبيعة حياته التي يعيشها، وجميع ما يمر به من أزمات أو أحداث، «هي إبداع فني يخاطب الروح، والإحساس والخيال معا، فما نحصل عليه من التشابه أو سواء من عالم المجازات الأشعارية، يكون له تأثير في انماء الصورة الجمالية الفنية، فيضيف جديدا بتشبيه في خيالينا وروحنا، ويثير فينا مدركات خيالية جديدة مادية ومعنوية، ويضع بين أيدينا الصلة التي قد تشرد عن أذهاننا عند مواكبة الصوة المختلفة، أو عند الجمع بين النقيضين في خيال صادق وإدراك بديع»[2].

ومن هنا نذكر بعض الصور الفنية التي طبقها "تأبط شرا" في شعره، في قصيدة يا عيد مالك:

وَمَرِّ طَيفٍ عَلى الأَهوالِ طَرّاقِ[3]

شبه الشاعر الطيف بالشخص الذي يطرق خلال الليل.

1- شاكر ذو الفقار ، ديوان تأبط شرا، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1404هـ، 1984م، ط1، ص 96.

2- عز الدين منصور، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا السعر المعاصر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 66.

3- المرجع السابق، عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 40.

تُعطيكَ وَعدَ أَمانيٍّ تُغِرُّ بِهِ كَالقَطرِ مَرَّ عَلى ضَجنانَ بَرّاقِ[1]

شبه الشاعر الوعد الكاذب بالقطار الذي يمر خدعة على جبل ضجنان.

عاري الظَنابيبِ مُمتَدٍّ نَواشِرُهُ مِدلاجِ أَدهَمَ واهي الماءِ غَسّاقِ[2]

شبه الشاعر صديقه كثيرا السفر بالليل شديدا لظلمة وغزير الماء.

أما في قوله:

إِنّي إِذا خُلَّةٌ ضَنَّت بِنائِلِها وَأَمسَكَت بِضَعيفِ الوَصلِ أَحذاقِ

نَجَوتُ مِنها نَجائي مِن بَجيلَةَ إِذ أَلقَيتُ لَيلَةَ خَبتِ الرَهطِ أَرواقِ[3]

صور الشاعر الصداقة التي ليس فيها وفاء بالحبل الضعيف المتقطع، ثم صور نفوره منها بهروبه من قبيلة بجيلة في تلك الليلة التي حاولوا فيها قتله، فاستخدم في البيت الثاني أسلوب التشبيه البليغ، جعل الابتعاد عن الصداقة كأنها نجاة اعتزاز بالنفس، وإعلاء لقيمة الوفاء في ذلك المجتمع.

لَيلَةَ صاحوا وَأَغرَوا بي سِراعَهُمُ بِالعَيكَتَينِ لَدى مَعدى اِبنِ بَرّاقِ[4]

شبه عدوه في ذلك اليوم، في سرعته بجري عمروا بن براق، إذا اشتهر بالعدو السريع.

لا شَيءَ أَسرَعُ مِنّي لَيسَ ذا عُذَرٍ وَذا جَناحٍ بِجَنبِ الرَيدِ خَفّاقِ[5]

1- المرجع السابق، عبد الرحمان مصطاوي، ديوان تأبط شرا، ص 41.

2- المرجع نفسه، ص 42.

3- المرجع نفسه، ص 41.

4- المرجع نفسه، ص 41.

5- المرجع نفسه، ص 41.

(ذا عذر) كناية عن موصوف وهو "الجواد"، واختار من صفاته هذا الشعر الذي ينبت على ناصيته، للدليل على جودته، وبالتالي سرعته، وهو ما أعطى الكتابة جمالا، (ذا جناح) كناية عن موصوف، هو "النسر"، وصف الجناح بأنه خفاق، ففي صيغة المبالغة دليل على سرعته في الطيران.

قارن الشاعر نفسه بهاذين النموذجين لأنه يتحدث عن أمر واقعي، مربه فقد طورد بالخيل في منطقة جبلية تطير فيها النسور، ولم يلجأ إلى أشياء أخرى، لأن الشعر الجاهلي لم يكن يميل إلى المبالغة في الوصف.

3- توظيف الموسيقى:

تمثل موسيقا الشعر أهم عنصر من عناصر التجربة الشعرية، فلا يكون الشعر دونها، فإذا خلا الشعر من الموسيقا أو ضعفت خف تأثيره، وتنقسم الموسيقا الشعرية إلى قسمين:

أ- موسيقى خارجية:

« وتتمثل في حسن اختيار الأوزان والقوافي وهذه الأوزان والقوافي هي أشبه بالألحان التي يترنم بها الشاعر حينما يعبر عن إحساسه وعواطفه أي أن الشاعر يعبر بالألفاظ عما يريد أو على الأصح عما يجيش في نفسه من مشاعر وأفكار أو تجربة عامرة، غير أن تستطيع الألفاظ وحدها الترجمة عما فيها فإني باللحن لإبراز ما عجزت الألفاظ عن استخراجه بالترنم والترجيع»[1].

1- عيد حمد الخريشة، الموسيقى الشعرية في شعر تأبط شرا، المجلد 43، ملحق 5 ، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، 2016، ص 2158.

- **الوزن:**

بحر طويل:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان البحور التي استخدمها الشاعر وتفعيلاته ودراسة قوافيه، مثلا في بحر الطويل كان يتحدث عن الغزوات وإغارته وجل قصائد الشاعر "تأبط شرا" فرد بالبحر الطويل لأنه يتسع لمعان كثيرة وبخاصة الفخر والحماسة والوصف والتاريخ وهذا ما جعله يركز عليه: "تأبط شرا" في شعره لوصف المعاناة التي كان يعيشها بمشكلاتها ومعاناتها، فكان بحر الطويل هو البحر المفضل عنده وكذلك الرثاء توقف عند رثاء صديقه الحميم الشنفري وكذلك استخدمه في ذكر المرأة كذلك.

وهنا نلاحظ أن هذه الموضوعات التي استعمل فيها "تأبط شرا" بحر طويل في موضوعاته لتعبير عنها كانت موضوعات لاغترابه وهنا فكان بحر الطويل من أكثر البحور ملائمة للتعبير عن هذه المعاناة الكبيرة التي عاشها في حياته من اغتراب فنجده اعتمد على هذا البحر في أغلب موضوعاته في رسم لوحات جميلة معبرة بطريقته.

واستطاع "تأبط شرا" أن يفرغ في هذا البحر عواطفه وإحساسه حينما رفضت المرأة الزواج منه، خوف من أن لا تستقر في حياتها معه لأنه يعتبر صعلوك والصعاليك مهددين بالموت في أي لحضه في قصيدته:

وَقالوا لَها لا تَنكِحيهِ فَإِنَّهُ لِأَوَّلِ نَصلٍ أَن يُلاقِيَ مَجمَعا

فَلَم تَرَ مِن رَأيٍ فَتيلاً وَحاذَرَت تَأَيُّمَها مِن لابِسِ اللَيلِ أَروَعا

قَليلُ غِرارِ النَومِ أَكبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَأرِ أَو يَلقى كَمِيّاً مُسَفَّعَا

يُماصِعُهُ كُلٌّ يُشَجِّعُ قَومُهُ وَما ضَربُهُ هامَ العِدى لِيُشَجَّعا[1]

1- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان "تأبط شرا"،ص 48.

قَليلِ اِدِّخارِ الزادِ إِلّا تَعِلَّةً وَقَد نَشَزَ الشُرسوفُ وَالتَصَقَ المِعَا[1]

ومنه نجد أن "تأبط شرا" استعمل هذا البحر في هذه الأبيات بموسيقى بينت ألمه وما خالجه من مشاعر حزن التي أحس بها عندما رفضته هذه المرأة.

البحر الوافر:

يعتبر بحر الوافر هو ثاني بحر اعتمد عليه "تأبط شرا" في شعره، وكما نعلم أن بحر الوافر بحر متسارع النغمات أعطاه هذا قوة في موضوع الافتخار وبيان القوة والشجاعة « فبحر الوافر بحر متسارع النغمات متلاحقها، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع كأنه يخرجها من مضخة لا في انثيال كما يفعل صاحب المتقارب، ولا فيها رشاقة ورقص، كما يفعل صاحب الكامل ولهذا فإن أكثر ما تجد الوافر في نظم الشعراء»[2].

يَقولُ لِيَ الخَليُّ وَباتَ حُلساً بِظَهرِ اللَيلِ شُدَّ بِهِ العُكومُ

لَطَيفٌ مِن سُعادَ عَناكَ مِنها مُراعَةُ النُجومِ وَمَن يَهيمُ

وَتِلكَ لَئِن عُنيتَ بِها رَداحٌ مِنَ النِسوانِ مَنطِقُها رَخيمُ

نِيافُ القُرطِ غَرّاءُ الثَنايا وَرَيداءُ الشَبابِ وَنِعمَ خَيمُ[3]

فستعمل البحر الوافر في هذه القصيدة التي كان يفتخر فيها بزوجته حيث أكمل القصيدة بفخره بشجاعته فقال:

ثَأَرتُ بِهِ بِما اِقتَرفَت يَداهُ فَظَلَّ لَها بِنا يَومٌ غَشومُ

نَحِزٌّ رِقابَهُم حَتّى نَزَعنا وَأَنفُ المَوتِ مَنخِرُهُ رَميمُ

1- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرا، ص 38.

2- المرجع السابق، عيد حمد الخريشة، الموسيقى الشعرية في شعر تأبط شرا، ص 2161.

3- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرا، ص 98.

وَإِن تَقَعِ النُسورُ عَلَيَّ يَوماً فَلَحمُ المُعتَفى لَحمٌ كَريمُ[1]

فهذه الأبيات جاءت على بحر الوافر تمكن الشاعر من خلالها نقل رده " لحاجز بن أبي الازدى " بطريقة مناسبة لأسلوبه في فخره نفسه وشجاعته ووصفه لزوجته واستهتاره بالموت.

- القافية:

ونقصد بالقافية بالكلمة الأخيرة وتعريفها هو «وأرق تعريف لها هو من آخر صرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع متحرك الذي قبله»[2].

وكان تأبط شرا «روى الام أكثر شيوعا في شعره تم يليه الباء ثم الواو ثم القاف، ثم نون وتقع هذه الحروف في معظمها في الفئة الكثرة الشيوع»[3]، فقال "تأبط شرا" في قصيدته "أذهب":

وَاذْهَبْ صُرَيْمُ كَيْ نَحُلَّنْ بَعْدَهَا صَغْوَا وَحُلَّنْ بِالْجَمِيعِ الْحَوْشَبَا

موسيقى داخلية:

الموسيقى الداخلية هي ذلك الإيقاع الذي يكون من داخل الأصوات والألفاظ «والمقصود بها أن يحسن الشاعر اختيار ألفاظه وأن تكون هذه الألفاظ وحداث صوتيه أو بما عرف بالقوافي الداخلية وتتبع أشكال البديع التي ترد في شعر الشاعر وكيف تشيع الموسيقى في النص الشعري»[4].

1- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرا، ص 99.

2- على الغريب محمد الشناوى، الصورة الشعرية في شعر الأعمى التطيلي، مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 2003، ص 233.

3- المرجع السابق، عبد حمد الخريشة، الموسيقى الشعرية في شعر تأبط شرا ، ص 2164.

4- المرجع نفسه ، ص 2158.

ومن هذا التعريف نستطيع القول أن الموسيقى الداخلية لها أثر هام في القصيدة لإمتاع المتلقي فهي تثيره وتحرك عواطفه وتجعله يتعاطف او يتأثر بهذه التجربة الشعرية التي يتناولها.

وهذا ما استعمله " تأبط شرا " في قصيدته التالية:

عَلى الشَنفَرى ساري الغَمامِ فَرائِحٌ غَزيرُ الكُلى وَصَيِّبُ الماءِ باكِرُ

عَلَيكَ جَزاءٌ مِثلُ يَومِكَ بِالجَبا وَقَد رَعَفَت مِنكَ السُيوفُ البَواتِرُ

وَيَومِكَ يَومُ العَيكَتَينِ وَعَطفَةٍ عَطَفتَ وَقَد مَسَّ القُلوبَ الحَناجِرُ [1]

فقد قام تأبط شرا برثاء صديقه الحميم الشنفري، حيث نلاحظ في هذه الأبيات عن قراءتها الحزن والإيقاع الهادئ ومنتظم النغمات وذلك لإبراز مدى حزنه والأسى الذي يخالجه جراء مفارقته.

لقد تميز "تأبط شرا" بجميع الخصائص الفنية والجمالية لشعر القديم كاللغة الشعرية فكانت لغته وسيلة لتعبير عن تصوراته وانفعالاته حيث كانت مفردات سهلة وواضحة في ذلك العصر، وحملت جميع الدلالات اللغوي وكذلك الصورة الشعرية التي عكست طبيعة حياته أم الموسيقى الشعرية بنوعيها الداخلية والخارجية فقد حافظ عليها ليصل خطابه ومشاعره والإقناع بما يخالجه من خلالها.

1- المرجع السابق، طلال حرب، ديوان تأبط شرا، ص 29.

ملحق

هو ثابت بن جابر الفهدي، من قيس كان من (أغربة العرب) أسود، لأنه من أم حبشية، أو زنجية، وقيل بل كانت أمه من بني فهم أيضا، تدعى أمنة أو أمينة، وقد كان تأبط شرا، شاعرا بائسا من الصعاليك، حادا البصر والسمع، عداء يلحق بالخيل والضباء، ويعزو على رجليه وحده، وتزوجت أم تأبط شرا أبا كبيرا الصندلي، ويبدو أن الزوجين الجيدين ضاقا ذرعا بهذا الطفل الشرير، فحاول أبو كبير قتله بضع مرات، ولكن تأبط كان يقضا جدا، وقد أدرك ذلك جيدا، فأصبح عدوا لقبيلته هذيل طيلة حياته، وكذلك عدوا لبني جبيلة، والمجتمع عليه أن تأبط شرا مات قتلا، قيل قتل في معركة مع بني بجيلة في جبل (نمار) من أرضهم، وقيل أخرج حية من جحرها فلدغته، وكذلك كانت تدعي هذيل قتله، وكان مقتله نحو عام 92 قبل الهجرة (530) ميلادية، وقد كان أصغر سنا من الشنفري، شاعر جاهلي وشعره في الحماسة والتصعلك، وكان الجاحظ يشك في بعض شعره، وكذلك كان شعره وشعر خاله يتدخلان لتقارب خصائصهما وأغراضهما.

خاتمة

حظي الاغتراب اهتماما كبيرا من طرف الأدباء والعلماء والنقاد، فالتمسنا العديد من التعريفات له في بعض المعاجم العربية والأجنبية، فهو موضوع قديم في الشعر الغربي منذ العصر الجاهلي إلى غاية باقي العصور نتيجة للتدهور الأوضاع الاجتماعية التي عاشها الشعراء في ذلك العصر.

ومن بين أهم الشعراء الصعاليك الذين تعرضوا للاغتراب نفسيا واجتماعيا، نجد تأبط شرا، الذي كان اغترابه بسبب نفوره من القبيلة والابتعاد عنها، وهذا ما أدى به إلى أزمة نفسية أدخلته في وحدة وعزلة عن مجتمعه، وأهله حتى من أمه.

وقد جاء الاغتراب الاجتماعي نتيجة القيم الفاسدة داخل المجتمع وانقلاب الموازين، وتفشي العادات السيئة، مما جعل منه صديقا للحيوانات والوحوش في الصحراء القاسية، وهذا ما جعل منه مغتربا عن نفسه.

ولا ننسى المادة اللغوية التي أغنى به شعره وميزه عن باقي الشعراء فنجد الصورة الفنية التي أولاها عناية فائقة ونوع فيها كالتشبيه والاستعارات والكناية، كما نذكر الموسيقى الشعرية التي أدت دورا بارزا في التعبير عن غربته، إذ نجدها تنوعت بالشراء كالبحر الطويل مثلا، الغالب على قصائده.

وفي الأخير نرجو أن نكون توفقنا في هذا البحث وفي رسم الاغتراب في صور واضحة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- عبد الرحمن المصطاوي، ديوان تأبط شرا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

2- طلال حرب، ديوان تأبط شرا، دار صادر، بيروت، ط1، 1996.

3- شاكر ذو الفقار، ديوان تأبط شرا، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1404هـ، 1984م، ط1.

ثانيا: القواميس والمعاجم

1- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار المعارف، القاهرة، ط2، ج1، 1386هـ، 1968م.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ج1.

3- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1998م.

4- أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، د ط، 1430هـ، 2009م.

ثالثا: المراجع

1- أحمد مختار، علم الدلالة، مكتبة دار العروب للنشر والتوزيع، الكويت، 1982م، د ط.

2- إسكندر نبيل رمزي، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار الفكر الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1988.

3- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي والأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ت، د ط.

4- رمضان حينوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.

5- سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، دار الينابيع، دمشق، ط1، (د ت).

6- شاخت ريتشارد، الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1989

7- صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي والاجتماعي، وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي، دار زهران لنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 1431هـ، 2010م.

8- عبد الحفيظ بورديم، النص الشعري العربي المعاصر، دار البشائر للنشر والاتصال، الجزائر، ط1، 2002.

9- عبد الحكيم حقي، شعر الصعاليك منهجه، وخصائصه، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1987، د ط.

10- عبد الرحمان الوافي، مدخل إلى عالم النفس، دار الهومة، الجزائر، د ط، 2006م.

11- عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003م.

12- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة، د ط ، 2003م

13- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ط3، 1958م.

14- عز الدين منصور، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا السعر المعاصر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

15- على الغريب محمد الشناوى، الصورة الشعرية في شعر الأعمى التطيلي، مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 2003.

16- فرويد إريك، المجتمع السليم، ترجمة محمود محمود، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1960م.

17- محمود رجب، الاغتراب سيرة ومصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988.

18- محمود سليم هيا جنة، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دار الوضاح للنشر والتوزيع، عمان الأردن، د ط، 1426هـ، 2005م

19- مفيد قميحة، الاتجاه النفسي الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981.

20- نوزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2012.

21- يوسف خليفة، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مكتبة الدراسات الأدبية دار المعرفة، القاهرة، كورنيش النيل، ط3، د ت.

22- يوسف خليفة، الموقف النفسي عند شعراء المعلقات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.

23- يوسف شكري فرحات، ديوان الصعاليك (الشنفرى، عروة ابن الوردي، تأبط شرًا، السليك بن سلكة)، دار الجيل، بيروت، ط2، 2004م

المذكرات والرسائل:

1- أمال عبد المنعم حراسيس، ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالا إلى متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤنة الكرك، الأردن، 2016

2- بن يمينة فاطمة الزهراء، الاغتراب عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، كلية الفنون والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016- .2017

3- دانيال علي عباس، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس التربوي، قسم علم النفس كلية التربية جامعة دمشق، 2015- 2016.

4- عبد القادر بلعابد، الاتجاه نحو العنف وعلاقته بالاغتراب لدى الشباب في ضوء متغيري الثقافة والجنس رسالة دكتوراه في علم النفس، 2013م، 2014م.

5- سنساوي عمارية، الاغتراب في الشعر الصوفي في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير قسم اللغة العربية وأدبيا، السنة الجامعية 1434/1433هـ، 2013/2012م.

6- عبد العزيز بزيان، صورة المرأة في شعر الصعاليك العصر الجاهلي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011، .2012

7- فتحي رشيد شديفات، الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية النصر العباسي الأول، أطروحة دكتوراه، تخصص الأدب والنقد في جامعة البرموك أربد، الأردن، 2006.

مقالات:

1- أمينة بوعلامات، الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث، في الفترة (1980، 1925)، تلمسان، 08 جوان، 2011.

2- حسن عيسى الحكيم، طوائف الصعاليك في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، طائفة الغرباء أنموذجا، الكلية الإسلامية الجامعة، المنجف الأشرف، كلية الآداب، جامعة الكوفة، د ت.

3- شوقي المعري، الخصائص اللغوية والنحوية في شعر الصعاليك، 11- 09- 2018.

المجلات:

1- عباس إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ط1، 1960.

2- عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، .1986

3- عمار المسعودي، الحكمة في شعر الصعاليك، دراسة تحليلية، العدد الثاني عشر، د ت.

4- عيد حمد الخريشة، الموسيقى الشعرية في شعر تأبط شرا، المجلد 43، ملحق 5، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، 2016.

الموسوعات:

1- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفي، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عوديدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
المدخل	**04**
ماهية الاغتراب	06
أولا : الاغتراب عند الغربيين	07
ثانيا: عند علماء النفس	08
ثالثا: عند العرب	09
الفصل الأول : الاغتراب النفسي في شعر تأبط شرا	
1- الاغتراب النفسي	13
2- أسباب الاغتراب النفسي	14
3- الاغتراب النفسي وأنواعه في شعر تأبط شرا	16
الفصل الثاني : الاغتراب الاجتماعي في شعر تأبط شرا	
1- الاغتراب الاجتماعي	29
2- أسباب الاغتراب الاجتماعي	31
3- الاغتراب الاجتماعي وأنواعه في شعر تأبط شرا	33
الفصل الثالث : تجليات الاغتراب فنيا في شعر تأبط شرا	
1- اللغة الشعرية	50
2- الصورة	54
3- توظيف الموسيقى	56
خاتمة	**63**
قائمة المصادر والمراجع	**65**

ملخص الدراسة:

إن الاغتراب ظاهرة إنسانية يتعرض لها الإنسان لأسباب عدة منها نفسية واجتماعية وذلك لما يصادفه من ظلم واضطهاد في مجتمعه وهذا ما عاشه شعراء العرب قديما منه فئة الصعاليك وفي موضوعنا هذا طرحنا دراسة موضوعية فنية تمحورت حول اغتراب "تأبط شرا" نفسيا واجتماعيا في الفصلين الأول والثاني أما الفصل الثالث فقد درسنا دراسة فنية حول الاغتراب في الشعر "تأبط شرا" ذاكرين فيه اللغة الشعرية والصورة لشعرية والموسيقى التي استخدمها في بعض أشعاره.

Alienation is a human phenomenon to which human beings are exposed for a number of reasons, including psychological and social, because of the injustice and persecution they encounter in their society, and this is what arab poets experienced in the past, including the category of tramps, and in this subject we presented an objective artistic study focused on the alienation of "evil" in which we mentioned the poetic language and the image of poetry and music that he used in some of his poems.